



العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

## طلقة تنوير ٢٥: الإعلام العربي والقضايا القومية

كلمة العدد: الإعلام والبترو دولار

جميل ناجي

طلقة تنوير ٢٥: الإعلام العربي والقضايا القومية

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد ١ حزيران ٢٠١٦

ويتضمن هذا العدد:

- كلمة العدد: الإعلام والبترو دولار / جميل ناجي
- الإعلام العربي والتنازل عن الثوابت / طالب جميل
- الإعلام والسفطانية / محمد العملة
- في الاقتصاد السياسي للإعلام العالمي / إبراهيم علوش
- تغطية وسائل الإعلام البريطانية للخبر العربي / ياسمين بشار
- شخصية العدد: أحمد سعيد - مذيع الزمن القومي العربي / نسرين الصغير
- دور الفكر الوهابي في تدمير الإرث التاريخي العربي / أحمد عدنان الرمحي
- مراجعات نقدية على هامش تاريخنا / علي بابل
- منير حر: الماركسية والمسألة القومية / د. توفيق شومر
- مراجعة فيلم: لندن سقطت London Has Fallen ... عندما ينقذ العم سام عاصمة أوروبية من الطابور الخامس / إبراهيم حرشاوي
- الصفحة الثقافية: إضاءات على الفن التشكيلي والنحتي في العراق، جواد سليم وفائق حسن نموذجاً ١-٢ / معاوية موسى
- قصيدة العدد: المؤنسة لقيس بن الملوح «مجنون ليلي» / إعداد أيمن عدنان الرمحي

لقد استطاعت القوى الإمبريالية من خلال عولمة الإعلام والسيطرة على مسوّقيه أن تخلق جهازاً ضخماً لترسيخ هيمنتها والحفاظ على مصالحها وتسويق كافة المشاريع التي تخدم هذه الهيمنة. ومما لا شك فيه أن للإعلام الغربي باعاً طويلاً في التضليل الإعلامي، وقلب الحقائق منذ الحرب الباردة. ولقد لعب الإعلام المدفوع مسبقاً دوراً مهماً في دعم السياسات الغربية وخلق رأي عام يتماهى مع هذه السياسات سواء بشكل علني واضح ليبرالي الطابع متغرب، أم تحت شعارات باهتة مضللة، كـ(إسقاط الدكتاتورية) وغيرها من الشعارات التي نتج عنها تدمير بلدان بأكملها، تماشياً مع المصالح الاستراتيجية الغربية.

لقد تعهّد البترو دولار الخليجي، متحالفاً مع قوى الكمبرادور في المنطقة، الحفاظ على هذه المصالح. وهذا تضمّن اتباع كل الأساليب التي من شأنها ضرب المشروع القومي. وهنا بدأت أموال البترو دولار في دعم التيارات الإسلامية لمواجهة المد القومي في وجه عبد الناصر، وفي تبني الفكر الوهابي والترويج له لضرب أي محاولة نهضوية قادمة، وهذا تطلب السيطرة على المؤسسات الإعلامية عامة، وخلق شريحة من المثقفين والإعلاميين المأجورين، المناوئين لهذا المشروع، الذين تتلمذوا على أيدي الرعاة الغربيين واكتسبوا مهاراتهم في تدمير الدول.

لقد سعت قوى الرجعية العربية مع مطلع السبعينيات، مدعومةً بالبترو دولار والحلفاء الغربيين، إلى محاصرة المشروع القومي، وهذا تضمّن القضاء على الإرث القومي (إرث عبد الناصر تحديداً)، من خلال توجيه إعلامي ضخم معنيّ بطمس وتشويه مكتسبات هذه المحاولة الوجودية النهضوية، وبخلق أطرٍ بديلةٍ إعلامية وصحفية (فضائية فيما بعد)، من شأنها إعادة إنتاج خطاب سياسي وثقافي يتماشى مع مصلحة البترو دولار والطغم المتصاححة معه، وهذا تضمّن العمل على مستويين فوق قوميين من التفكير.

فأولاً، كان هنالك نشرٌ لطبعة سلفية لاعقلانية متطرفة من الإسلام، تمثّلت في الفكر الوهابي الذي أفضى إلى نشوء القاعدة وأخواتها، التي تمّ توظيفها في خدمة المشروع الإمبريالي في مواجهة الاتحاد السوفيتي، كما تم العمل على صعيد عربي مؤخرًا على دعم جماعات مسلحة، مهينة ومحرضة سلفاً في محاولة لتفكيك الدول العربية ذات السيادة.

لمتابعنا انظر موقع لائحة القومي العربي:

www.qawmi.com

وصفحة (لائحة القومي العربي) على

فيسبوك

روابط صديقة:

موقع الصوت العربي الحر

www.freearabvoice.org

موقع جمعية مناهضة الصهيونية

والعنصرية

www.nozion.net

راسلنا على: arab.nationalist.moderator@gmail.com



لقد استطاعت هذه القوى الظلامية من خلال إعلامها، متفقيها المأجورين، مشايخها وجمعياتها ذات التمويل المفتوح، التي وظفت الدين للتغلغل في الشارع العربي وضرب الحس السليم لدى هذا الشارع، ومن خلال إعادة إنتاج أحقاد وأنماط تفكير من القرون الوسطى قائمة على أساس طائفي فنوي، على خلق عوائق حقيقية أمام محاولات الإصلاح، أو أي محاولة جادة للنفوذ إلى الشارع، أو خلق قواعد قادرة على حمل المشروع القومي. وقد اتضح مؤخراً كيف استطاعت هذه التيارات والقوى مصادرة عوامل النعمة الموضوعية في الشارع العربي محولة ما كان يمكن أن يكون ربيعاً إلى خريف دموي مقيت.

وثانياً، كان هنالك نشرٌ للفكر الليبرالي المتغرب من خلال تبني أنماط ثقافية وأدبية، أو من خلال ما تسوقه الفضائيات الخليجية وغيرها (على هامش الفضائيات الدعوية طبعاً)، بهدف خلق صورة نمطية متصالحة مع مفرزات الفكر الغربي، كتفديس الحريات الفردية، ونشر النزعة الاستهلاكية، التي من شأنها خلق جيل مفكك، ومستلب عقائدياً وسلعياً، غير معني إطلاقاً بالمهام الوطنية والقومية، وحتى بالشأن العام المباشر.

لقد سيطر البترودولار، مع تراجع المشروع القومي، على أغلب المنابر الإعلامية والثقافية (ناهيك عن بناء مؤسسات وفضائيات إعلامية مأجورة)، لأن المسائل الإعلامية من إنتاج ونشر وغيرها هي مسألة رأس مال بالدرجة الأولى. وهذا أدى فعلياً إلى سحق ومحاصرة أغلب المنتجات الفكرية والفنية النهضوية عامة. وهذا واضح تماماً في الفارق الضخم بين ما أنتجته فترة المد القومي، وما أنتجه هؤلاء الرعايا. ومن هنا فإن الحاجة إلى خلق أطر بديلة مناوئة ومقاومة في أن معاً هي مهمة آنية وملحة، كجزء من مواجهة مشروع التفكيك الذي يريعه البترودولار.

وكما كتب د. إبراهيم علوش في خاتمة مقالته المعنونة «البترودولار»: «إن «البترودولار» مشروع سياسي تابع للإمبريالية، لا مجرد عوائد مبيعات النفط بالمجرد. وما يجري في الوطن العربي من قفز «بترودولاري» على المشهد الإعلامي والسياسي والانتخابي العربي هو وظيفة أخرى للبترودولار، ف«البترودولار» يتم توظيفه سياسياً منذ الخمسينيات والستينيات بشكل محسوب لضرب حركات التحرر الوطني وكل مشاريع النهضة القومية، وقد كان أهم شكل لاستثماراته السياسية خلال السنوات الأخيرة: (١) نشر الفكر الوهابي، (٢) دعم الحركات التكفيرية وتمويلها، (٣) السعي للإمساك بالمشهد الإعلامي والثقافي والفني العربي.»

يبدو واضحاً اليوم، أكثر من أي وقت مضى، ضرورة مواجهة كل مفرزات البترودولار، وضرورة سحق معاوله، كخطوة أولية في مواجهة المشروع الإمبريالي الكبير. ونحن في لائحة القومي العربي، ومن هذا المنبر (طلقة تنوير)، نحاول رغم ضيق المنافذ، أن نكسر هذا التغول على واحد من أهم أسلحة المواجهة (السلح الإعلاني)، لنقدم وبتواضع ما يجب أن يحمله أي إنتاج إعلامي، أدبي أو فني قادم، في سبيل هذه الأمة العريضة، المتكالب عليها دائماً.

## الإعلام العربي والتنازل عن الثوابت

### طالب جميل



لم يبلغ الانحدار في خطاب الإعلام العربي مبلغاً مثل الذي بلغه في العقود الأخيرة خصوصاً بعد الكوارث التي حلت بالأمة العربية والتي سميت معاهدات سلام (كامب ديفيد، أوسلو ووادي عربة) وما تبعها من تنازلات وتشوهات أصابت كافة مناحي الحياة في مجتمعاتنا العربية خصوصاً في المجال الإعلامي.

ولأنّ الإعلام بكافة أشكاله (المرئي، المسموع والمقروء) أصبح يحدد بوضوح واتجاهات الناس، خصوصاً في هذا العصر المكتظ بكافة وسائل التواصل، وفي هذا الفضاء الإعلامي الذي يحوي آلاف القنوات ذات التوجهات والإيديولوجيات المختلفة، خاصة أن بعضها تحمل في طياتها كثيراً من أشكال التلوث الطائفي والإقليمي والعنصري، فقد وجب من حيث المبدأ أن يكون أكثر التزاماً بالثوابت وأكثر تعبيراً عن مصالح الأمة وأقرب إلى عقول وهواجس الناس.

لكن الغالبية العظمى من وسائل الإعلام العربية لم تعد تعنى بتقديم خطاب إعلامي ملتزم، وذلك تحت تأثير الجهة التي تتبع لها تلك الوسيلة سواء أكانت نظاماً سياسياً أم حزباً أم رجل دين أم مستثمراً متمولاً من جهات معادية أو غير ذلك، فأصبح دس السم في الدسم أمراً يومياً يسير بشكل اعتيادي مخترقاً بذلك وعي المتابعين بشكل يومي. ويتم ضخ الأموال بالملايين في كثير من وسائل الإعلام للترويج ونسويق مفهوم القطرية وتعزيز النزعة تجاه قطر

ما أو طائفية، وتهميش ومحاربة وتسخيف أي أفكار أو برامج تروج للوحدة وتدفع باتجاه تحقيق فكرة الوحدة العربية، كما تتم شيطنة المقاومة والمقاومين أفراداً كانوا أم جماعات، وإبراز المتخاذلين ودعاة التطبيع.

لذلك نلاحظ على مستوى وسائل الإعلام، التي تعنى بالشأن الإخباري وتقدم أخباراً وبرامج إخبارية على مدار الساعة، بأن هنالك عملية تمييع وتفريغ للثوابت بشكل مدروس. فلا يخطر في بال معدّي ومقدمي الأخبار والبرامج التذكير بعروبة كل الأرض العربية خصوصاً تلك التي لا تزال تحت الاحتلال مثل سبتة ومليلة والأحواز ولواء الإسكندرون وغيرها، وكأنها أصبحت بحكم الأمر الواقع أراضي غير عربية.

ولم يعد يُنظر لفلسطين على أنها فلسطين العربية الواجب تحريرها من النهر إلى البحر ولم تعد الوطن المحتل، بل يتم التعاطي معها على أنها أجزاء صغيرة تتبع لعدة جهات هنا وهناك. أما القدس فلم تعد في نظرهم أكثر من مسجد أو كنيسة يوم إليه الفلسطينيون للصلاة، فيما طغت التسمية اليهودية للمدن الفلسطينية ولم تعد تذكر بأسمائها العربية، عدا عن فكرة تمييع الصراع مع العدو الصهيوني وتصويره على أنه نزاع أو اشتباك ناتج عن سوء تفاهم ما، والنظر لليهود في فلسطين من «منظور إنساني» وإغفال أنهم قاعدة للمشروع الصهيوني هناك، فلا يمكن لأي عربي حر أن يتقبل تلك الفكرة بغض النظر عن أي نوايا أخرى.

ويبلغ بؤس الخطاب الإعلامي مداه في تلك المحطات عندما تتم استضافة باحثين ومحليين وناطقين رسميين صهاينة وإدخالهم بشكل مسيء لكافة الثوابت التي تربت عليها مختلف أجيال الشعب العربي، وذلك لكسر حاجز الخوف لديهم من مقاطعة العدو والتعامل معه من «منظور إنساني» بحجة الاستماع للرأي والاطلاع على طريقة تفكيرهم ومحاورتهم وتبادل الآراء معهم لدرجة أصبح فيها هذا المشهد مألوفاً واعتيادياً وجزءاً من البرامج اليومية لتلك المحطات.

أما الإساءة لدماء الشهداء في فلسطين تحديداً وعدم تقدير تضحياتهم فنتم من خلال قيام بعض وسائل الإعلام بنعت الشهيد بكلمة (قتيل)، والتعامل مع الأبطال وضحايا الإجرام الصهيوني على أنهم قتلى نتيجة لحادث سير أو زلزال، مع تمادي بعض تلك الوسائل في ذلك وتسميتهم بارهابيين.

تجدد الإشارة هنا إلى حالة الانزلاق التي وصل إليها الإعلام العربي بعد حالة الفوضى التي سادت المنطقة العربية في السنوات الأخيرة والتي سميت بـ (الربيع العربي)، حيث ازدادت التشوهات وبلغ اللبس ذروته فأصبح يطغى الخطاب المناهض بالديمقراطية حتى ولو كان على حساب التفتيت والتقسيم وبالحرية على حساب سيادة الأوطان، وبالتدخل الأجنبي وحقوق الإنسان حتى وإن كان ثمن ذلك ضياع الوطن وسيطرة الأعداء عليه.

أما الأعمال والبرامج الترفيهية (أغاني، أفلام، مسلسلات) فقد لوحظ أن هنالك عملية وأد متعمدة لكافة الأغاني الوطنية ذات الأبعاد القومية والملتزمة، خصوصاً تلك التي انتشرت في مرحلة المد القومي وأي أغاني حماسية تثير الحماس في صفوف الشباب وتحرض على المقاومة والشهادة وتدعو لمحاربة العدو الصهيوني، حيث لم تعد تلك الأغاني على أجندة هذه المحطات، لدرجة أن هنالك جيلاً من الشباب لم يسمع بتلك الأغاني نهائياً بعد أن تم استبدالها بالأغاني الهابطة ذات المضامين الفارغة التي تساهم في تدمير الوعي والكسل والانشغال عن قضايا الأمة بهجوم ساذجة واستهلاكية رخيصة.

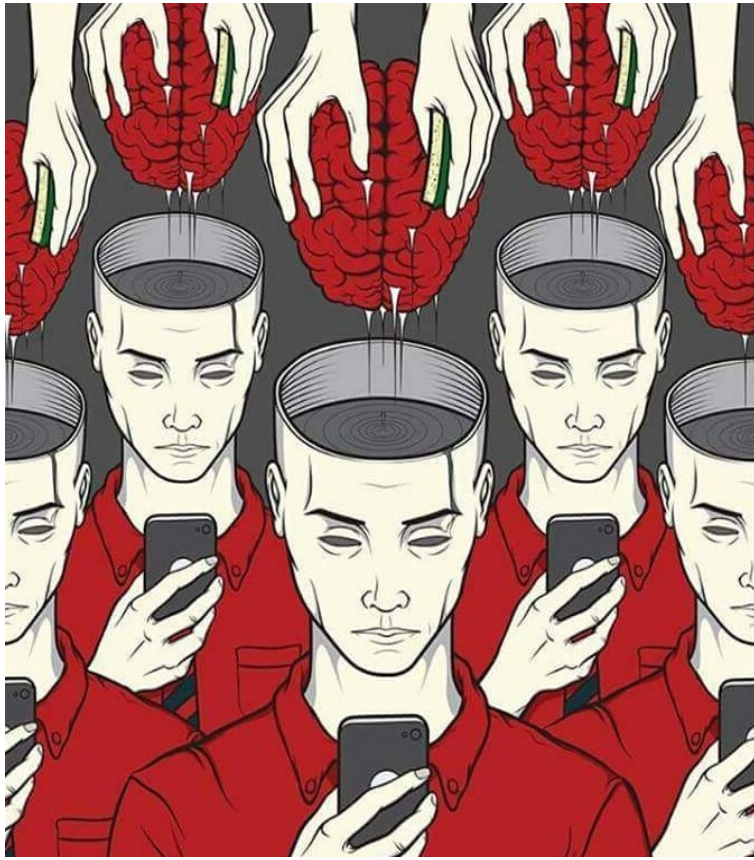
ينسحب الأمر نفسه كذلك على الأفلام الجادة والمسلسلات التي تطرح قضية فلسطين بشكل مباشر وترصد تضحيات الشعب العربي في مقاومة الاستعمار، وتؤرخ للمقاومة والمقاومين وتروي قصص الشهداء وترصد مجازر العدو الصهيوني وأمريكا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا والأترك ضد الشعب العربي، حيث يتم استبعاد تلك الأعمال وعدم عرضها وقد يعرض البعض منها على استحياء في مناسبة ما، لكن الأعمال التي تسيطر على تلك الفضائيات هي أعمال التهريج والمخدرات والمغامرات العاطفية البائسة وذلك لتخريج أجيال لا تحمل أي انتماء لأي قضية وطنية أو قومية، ولا يربطها بالأرض أي رابط، أحلامها ليبرالية فردية متعلقة بالهجرة والسفر وتحقيق الذات.

لا بد من التوقف هنا عند بعض وسائل الإعلام المحسوبة على المقاومة والتي لا تزال بحاجة لإعادة النظر في بعض المفاهيم والمصطلحات التي تستخدمها في خطابها، وتبتلع في كثير من الأحيان السموم التي تبتها وكالات الأنباء العالمية. فهي لا تملك استراتيجية إعلامية متكاملة تخدم مشروع على مستوى الأمة مما يدفعها أيضاً في كثير من الأحيان للانزلاق لاستغلال التناقضات الموجودة في الشارع العربي لتمير بعض الأفكار التي تخدم فئة ما، أو يأتي خطابها أحياناً لمصلحة دولة لها أجندة ما رغم حسن النوايا.

عموماً لقد ضلّت كثير من وسائل الإعلام العربية الطريق وداستها عجالات الإمبريالية وتنازلت عن ثوابت الأمة وأصبح خطابها يأخذ شكلاً تجارياً هدفه استرضاء الغرب والتقرب من الصهاينة وتقديم التنازلات بشكل مهين ومسيء لأمة لها تاريخها وقدم شعبها الكثير من التضحيات.

## الإعلام والسفسطانية

محمد العملة



تقول القصة اليونانية أن السفسطائي «بروتاغوراس» وافق على تعليم فن الخطابة والجدل لتلميذه «إواتلس» لقاء مبلغ يدفع نصفه مقدماً، على أن يدفع المبلغ المتبقي بعد إتمام تعلمه والقيام بمرافعته الأولى في المحكمة أمام القاضي.

بعد إتمام تعليم إواتلس؛ لاحظ بروتاغوراس أن تلميذه يتجنب مزاولة عمله وهو القيام بالمرافعة حتى لا يدفع ما تبقى عليه من مال، ولذلك قام برفع دعوى قضائية عليه ليجبره على دفع المبلغ المتبقي، وحنة بروتاغوراس كانت أنه إن ربح الدعوى فإنه سيحصل على المال، وإن ربح تلميذه الدعوى فسيحصل أيضاً على المال بناءً على الاتفاق المبرم بينهما والقائل بأن التلميذ بات متقناً لفنون الكلام والخطابة!

لكن إواتلس - الذي أتقن ما تعلمه - لجأ لحنة ثانية تقول أنه إن ربح الدعوى فإنه لا يجب عليه دفع شيء بناءً على حكم المحكمة، وإن خسر الدعوى فإنه لا يجب عليه دفع شيء أيضاً لأن في هذا إثباتاً أنه لم يتقن فنون الخطابة والكلام كما في الاتفاق المبرم بينه وبين معلمه؛ على ما تقول الحكاية، فإن القاضي احتار في أمره وأمر بتأجيل القضية مئة عام!!

الحكاية السابقة مثلاً على الجدل الذي لا يفضي إلى نتيجة والمبني في طياته على السفسطة المضللة والتلاعب بالكلام بقصد الإيهام والتلبيس على المتلقي أيّ كان.

بادناً ذي بدء؛ من هو السفسطائي؟

في اليونانية، السفسطائي من الأصل SOPHISTES وتعني السيد الحكيم الماهر في كل علم، لكن هذا المعنى تعرّض للأنزياح عن مدلوله مع الوقت ليتحول إلى صاحب الحيلة الحاذقة أو المغالط أو المضلل الذي يكون مشبهاً ويدعي الحكمة.

الحديث عن السفسطائية يستدعي بطل حكايتنا -بروتاغوراس- الذي يعد رائد المدرسة السفسطائية بتأسيسه للتضليل الموجه للعقول مستخدماً الجدل الكلامي القائم على البهلوانية اللفظية والقياسات المموهة التي لا تثبت شيئاً، وأيضاً على الجدل الأنثولوجي القائم على الخطاب مزدوج المعاني الذي يعتبر أن لكل شيء خطابين يناقض أحدهما الآخر. أتباع بروتاغوراس طوّروا فلسفته هذه، ومنهم جورجياس وإيزوقراطس، فالأول هو المؤسس للتضليل السيكلوجي باكتشافه «الأميفالونس النفسي»، أو ازدواجية الشعور في النفس، معتمداً على الجدل الكلامي لتوجيهه، أما الثاني فوضع قواعد التلاعب الكلامي بالبناء على فن الخطابة.

تتطلق الفلسفة السفسطائية عموماً من العدمية التي تنفي الحقيقة الموضوعية أو المعرفة التجريبية، فهي لا تعترف بالوجود واللاوجود، وإن كان ثمة شيء موجود فهو غير معروف، وإن كان معروفاً فإنه لا يمكن نقله للآخرين، فهذه الفلسفة تنزع إلى فكرة نسبية الحقيقة لتجعل من السفسطائي الشاهد الوحيد على وجود الأشياء أو عدم وجودها.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

لخص بروتاغوراس هذه النسبية بقوله إن الإنسان مقياس جميع الأشياء، وأن حكمه صحيح دائماً بما يمتلكه من معرفة، وبما أن أحكام الناس تختلف، فإن ما نراه صحيحاً قد يكون خاطئاً عند غيرنا، فكل واحد مصيب ومخطئ في ذات الوقت لأن الحقيقة هنا تابعة للشعور الذي يحسه المرء والذي لا يمكن أن نعرف منه صدقه أو كذبه!

عندها يصبح مصدر الأحكام «الذوكا» ذاتياً ومبنياً على معارف ذاتية غير علمية مختلفة تقود لأحكام متباينة مصدرها مشاعر ذاتية مختلفة، أي أنه يجنح نحو تعزيز الفردانية والليبرالية غير المتوافقة مع الرأي الجمعي بالضرورة.

«الذوكا» عند السفسطائيين هي الرأي الضعيف الذي يسهل تضليله، والسفسطائية تستخدم الخطابة كالمطرقة على هذه الذوكا متسلطة عليها ومحتوية إياها بوسيلة لا أخلاقية. تعتمد طريقة المطرقة إلى التركيز على بث الفكرة المضللة بلا انقطاع على الرأي الضعيف، فتستجلب انتباهه مبعده إياه عن القضايا التي تهمة وبالتالي تحطم قدرته على التمييز بين الخطأ والصواب. وتشبه هذه الطريقة مبدأ غوبلز النازي «اكذب حتى يصدقك الناس».

على هذا المنوال تعمل وسائل الإعلام؛ إذ تنطلق من القاعدة السفسطائية التي تتمظهر عبر سلوكيات تأثير «اللوغوس الكلامي LOGOS» أو فن الخطابة على «الذوكا» أو غالبية الأراء، ويمكن التعبير عنها بالقول إن فن الخطابة يتسلط على الرأي الضعيف والمشتت، كما أن فن الخطابة قد يلجأ للأساطير أيضاً بالتهويل والاجتذاب، مما يجعل السيطرة والأسطورة تنطلقان من نفس الجذر.

للسفسطائية وسائل أخرى للسيطرة مثل:

١. «البيساكوجيا» أو فن قيادة النفوس، وتنطلق عند غورجياس من فكرة أن النفوس قابلة للتضليل بالصوت والصورة والكلام، طبعاً مع الأخذ بعين الاعتبار ما سبق ذكره من فنون الخطابة والتلاعب الكلامي.
٢. طريقة التفكير عبر المحاجات السفسطائية اللا-منطقية، وهي تتلخص بالدخول في جدل للاحتيال بالوهم على السامع وهدم رأيه ثم السيطرة عليه وقيادته.
٣. الخطاب المزيج أو المناقض، وهو غير معني بوجود الشيء ونقيضه في طبيعة أو ذات الموضوع، لأنه لا يلجأ للمنطق الذي يكون مؤداه النفي أو الإيجاب، بل يذهب إلى عدم نفي الشيء ونفيه في ذات الوقت انطلاقاً من أفكار العدمية ونسبية الحقيقة التي ذكرناها آنفاً.
٤. في طابعها السياسي، تتمظهر السفسطائية في عدة وسائل، كالتمويه الذي يستخدم مصاديق لغوية مغايرة للمدلول الفعلي، والانتهازية والمواربة والارتجال الذي يقوم مقام الخطابة.

في الوقت الحالي اتسع مجال السفسطة بعد ظهور عوالم الإعلام المسموع والمرئي ووسائل «الاتصال» الاجتماعي التي لم تحقق التواصل، إضافة لأدوات تقنية كالهواتف الذكية.

ما تسمى بوسائل التواصل، خلقت حالة الفرد المتقلت من إطار الزمان والمكان، بما يمثله من خروج سيء من التاريخ من دون إلقاء بال لمن يخالفه الرأي -إن اعتبرنا أن ما يطرحه كمستخدم لهذه الوسيلة رأي بالضرورة-، وهذا يجسد خضوع الفرد للوسيلة والأداة بدل تطويعهما بحسب توصيف «دومينيك وولتون».

السفسطائية الجديدة تعرض الأخبار تحت بند «العاجل» من دون انقطاع، مما يفقد المتلقي الحس النقدي والوقت لتحليل وفهم الحدث. الأخبار العاجلة تقوم بتجزئة الحدث أكثر فأكثر، ومعه يضع الموضوع الرئيسي ويفقد ترابطه بعد أن يحوله إلى مجموعة معلومات قد تحمل أهمية ما، لكنها لا تقضي إلى نتيجة ذات قيمة، ويسهل بالتالي تمرير التضليل في الخبر، والتضليل دوماً أخطر من التزوير.

لنأخذ مثلاً ما يحدث في حلب، حيث لجأت وسائل الإعلام للتركيز على هذا الحدث مخرجة إياه من سياقه المنطقي، فلم يتم الالتفات إلى أن الإرهاب يعيش في مساحة لا بأس بها من المدينة منذ أكثر من عامين، ولم يذكر الإعلام كيف وأين ومتى دخل هذا الإرهاب إليها وعن طريق من، وأن الشق الأكبر من المدينة يعيش بلا ماء ولا كهرباء أو وقود نتيجة حصار القتل الإرهابيين لها، ولا يطرح الإعلام أن غياب الجيش العربي السوري يعني إفراغ الساحة لكل أنظمة التكفير التي تقتل ولا تقاتل، والأدهى أن الجيش الذي يفترض أن وظيفته هي حماية الدولة يصبح مذنباً!

وعلى النقيض، لم تذكر هذه الوسائل ما حدث قبل أيام من مجازر في منطقة الزارة أو تفجيرات العراق وكأن الحديث في كوكب آخر، أو أن مرتكبهما ليس الإرهاب نفسه الذي عاث فساداً في حلب.

السؤال البديهي الغائب، إذا كانت الوسائل الإعلامية الموجودة في معظمها مملوكةً لنفس الأطراف التي تمول الإرهاب، فهل من المتوقع أن تشاهد أو تسمع رأياً يناقض أفعالها على الأرض؟!!

الإعلام يرسم ما هو رديء بشكل جيد بحسب تعبير «فلوبيير»؛ والكلمة أو الخطابة تقود الصورة، فالمتلقي يشاهد نفس الصورة على مختلف الوسائل وكل منها تعطي خبراً مختلفاً ومتناقضاً مع غيره.

تشريع ذلك كله يحصل تحت وهم الحياد وأسطورة التعددية الإعلامية، فالمتلقي مجبرٌ على سماع رأي المتحدث باسم الجيش الصهيوني على أنه «الرأي الأخير» مثلاً، وعند النظر في هذه الحالة من دون إغفال حالات أخرى- نصل لنتيجة أن وسائلنا الإعلامية ليست عربية بل تنطق باللغة العربية فقط، ولكم أن تأخذوا مثلاً كيف عرضت قناة «العربية» خبر استشهاد القائد المقاوم مصطفى بدر الدين وكيف عرضت وسائل الإعلام الصهيونية نفس الخبر، فكلا الطرفين ينطقان بنفس المنطق وإن اختلف اللسان.

ليست هذه السطور سوى عرض مبسّط لمجموعة من الأفكار تبحث في أساس الأيدولوجيا الإعلامية الحديثة بالاستناد على كتاب «التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي» لمؤلفه «د. كلود يونان»؛ فالفسطائية باتت أقوى في عصر الأيدولوجيا التقنية المتوحشة، من دون إغفال أن الوسائل الجماهيرية موجودة على قلتها كبديل مناهض للعولمة التي غزت كل شيء، و«بروتاغوراس» أصبح مؤسسة بعد أن كان فرداً وها هو يرقص في قبره!

## في الاقتصاد السياسي للإعلام العالمي

إبراهيم علوش

تسيطر على الإعلام العالمي، والأمريكي بالأخص، بضع تروستات، أو كتل، رئيسية، يعود معظمها إلى يهود في الملكية أو الإدارة أو الاثنين معاً. إنهم حفنة ممن يلعبون بمليارات الدولارات، ولهم وجود طاغ في وسائل الإعلام في بلدانهم أو على مستوى عالمي، وهم يوظفون أموالهم ووسائل إعلامهم بوعي وتركيز وبشكل منسق في خدمة أجندة سياسية محددة، كانت قبل أوباما أجندة المحافظين الجدد، أي أجندة التدخل الخارجي في السياسة الدولية، وأجندة تحرير السوق وتجاوز الحدود والثقافة القومية في السياسة الداخلية، وأجندة الوله الأعمى باليهود وكل ما يمت لهم بصلة، وأجندة تحويل الثقافة إلى سلعة والإنسان إلى شيء والإعلام إلى سلاح لتحقيق كل ذلك.

THE WALL STREET JOURNAL.

REUTERS

TEL EMUNDO

abc NEWS.com

USA TODAY

CBS MarketWatch

Chicago Tribune

CNBC

Newsweek

PBS

Parents.com

Bloomberg RADIO

NBC

Woman's Day

TIME

قد يتغير اسم بعض التكتلات conglomerates المهيمنة في سوق الإعلام بين عام وآخر، ويزيد حجمها أو يصغر، في صراعها الأزلي مع بعضها للسيطرة على حصة أكبر من السوق، لكن البنية الأساسية لملكية وسائل الإعلام تبقى دوماً خاضعة: (١) لنموذج احتكار القلة Oligopoly، أي سيطرة عدد قليل من الشركات على الحيز الإعلامي، في الدول الرأسمالية المتقدمة، ثم على نطاق عالمي، (٢) للسيطرة اليهودية كما سنظهر أدناه، (٣) للنزوع للانتقال من السيطرة المحلية إلى السيطرة العالمية، تحت يافطة «النزعة الإنسانية» و«التعددية»، أي لتجاوز الحدود الوطنية للشركة أيديولوجياً بالترافق مع التوسع في عملياتها الاقتصادية خارج البلد الأم، فيما يزداد طغيان اللون الأمريكي عليها، (٥) لانحسار الإعلام الرسمي والمحلي والحلول محله في كل دول العالم تقريباً التي لا تملك مشروعاً وطنياً أو سياسة تنمية مستقلة، في سياق المزيد من التركيز في الملكية، مما يعكس سلباً على قدرة الدول على التأثير في الرأي العام المحلي، (٦) لازدياد دورها السياسي خلال العقود الثلاثة الأخيرة في تشكيل الرأي العام وصياغة الوعي (أو تزييفه بالأحرى...) على مقاس مصالح رأس المال المالي الدولي، أي الإمبريالية العالمية، (٧) لتحولها إلى إحدى أهم ركائز الهيمنة الإمبريالية السياسية والثقافية في القرن الحادي والعشرين.

فلنبدأ بتعريف مفهوم شركة «التكتل الإعلامي» Media Conglomerate: هي شركة تمتلك مجموعة من الشركات أو الأقسام العاملة في مجالات الاتصال الجماهيري المختلفة، من الصحف والمجلات والكتب وقنوات الإذاعة والتلفاز، وأحياناً استديوهات صناعة الأفلام وربما خدمات الشبكة العنكبوتية، وصولاً إلى مدن الملاهي في بعض الحالات وتنظيم المباريات الرياضية الكبرى وملكية حقوق تغطيتها إعلامياً، ليندمج مفهوم الإعلام والثقافة بمفهوم الترفيه الاستهلاكي. وتشكل الاحتكارات الإعلامية الأمريكية أكبر التكتلات العالمية، التي تقدم قائمة بأهمها أدناه، تليها بعض التكتلات الأوروبية مثل Bertelsman الألمانية، و Vivendi الفرنسية. وهنا لا بد من التذكير بتعريف الشركة الدولية، أو الشركة متعددة الحدود، فهي لا تسمى هكذا لأن ملكيتها مشتركة بين مواطني عدة دول، مع أن الملكية متعددة الجنسيات واردة جداً، خصوصاً عندما تكون شركة مساهمة، بل لأن عملياتها الإنتاجية تنبسط عبر حدود عدة دول، حتى لو كانت مملوكة لشخص واحد. وكل شركة دولية تُسجل بالضرورة في بلد ما وتحمل جنسيته حتى لو تعددت جنسيات مالكيها، ويسمى «البلد الأم» Home Country، فهي شركة أمريكية أو كورية أو برازيلية أو جنوب أفريقية مثلاً، أما الدول التي تنشط فيها اقتصادياً خارج البلد الأم فتسمى بالجملة «البلد المضيف» Host Country.



العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

فيما يلي لمحة عن أكبر التكتلات الإعلامية في العالم، مع التذكير أن ترتيبها من حيث القيمة الرأسمالية والدخل السنوي (المبيعات) والأرباح قد يختلف من عامٍ لآخر:

(١) شركة كومكاست Comcast الأمريكية، وقد بلغت مبيعاتها في العام ٢٠١٥ حوالي ٧٥ مليار دولار، وأرباحها الصافية أكثر من ثمانية مليارات، وقيمة أصولها حوالي ١٦٧ مليار دولار، وعدد موظفيها ١٥٣ ألف موظف، وكل ذلك للعام ٢٠١٥. وتسيطر عائلة روبرتس اليهودية على ثلث أسهم الشركة، ومديرها العام التنفيذي هو براين روبرتس، ابن مؤسسها رالف روبرتس. ونائب المدير التنفيذي هو ديفيد كوهن، اليهودي، الذي يتقاضى راتباً سنوياً، من دون الحوافز، مقداره عشرة ملايين وتسعمئة ألف دولار، بحسب معطيات العام ٢٠١٤. وقد صعدت الشركة بشكل صاروخي بين العامين ١٩٩٩ و٢٠٠٩، مع أنها تأسست في العام ١٩٦٣. وتعتبر شركة كومكاست أكبر مزود لخدمات الكابل Cable في الولايات المتحدة، حيث يعتمد معظم المواطنين الأمريكيين على شبكة الوصلات التلفزيونية، بدلاً من الفضائيات، للاشتراك في القنوات التلفزيونية، ويبلغ عدد المشتركين في الولايات المتحدة وحدها حوالي ٢٣ مليون منزل. كما تملك شركة كومكاست شركة NBCUniversal التي تتألف من مجموعة شبكة NBC التلفزيونية والإذاعية (التي كانت تسيطر عليها سابقاً شركة General Electric التي تصنع الأسلحة فيما تصنعه)، واستديوهات Universal لصناعة الأفلام، وهذا بالإضافة إلى مجموعة من شركات الإنترنت وصناديق الاستثمار.

(٢) شركة 21st Century Fox، وهي الوريث الشرعي لشركة «نيوز» News Corporation، لمؤسسها روبرت ميردوخ، حيث أعلن ميردوخ تقسيم الشركة إلى اثنتين في العام ٢٠١٣، هما شركة 21st Century Fox التي تختص باستديوهات صناعة الأفلام والقنوات التلفزيونية، وشركة نيوز الجديدة المختصة بالطباعة والنشر. وقد بلغت مبيعات شركة 21st Century Fox في العام ٢٠١٥ حوالي ٢٩ مليار دولار، وأرباحها الصافية أكثر من ثمانية مليارات، وقيمة أصولها أكثر من ٥٠ مليار دولار، وعدد موظفيها أكثر من عشرين ألفاً، ويملكها «صندوق عائلة ميردوخ». وتملك الشركة استديوهات 20th Century Fox لصناعة الأفلام، وهي من أكبر استديوهات صناعة الأفلام العالمية، وشركات إنتاج مسلسلات تلفزيونية وإنتاج موسيقي، كما تملك شبكة قنوات فوكس Fox، وشبكة قنوات National Geographic، وشبكة قنوات كابل Cable في عدة بلدان، وشبكة فضائيات سكاى SKY التي تبث بعدة لغات، منها اللغة العربية.

أما شركة نيوز الجديدة المختصة بالطباعة والنشر فأصغر حجماً، إذ بلغت مبيعاتها السنوية في العام ٢٠١٥ حوالي ٩ مليار دولار، وقيمة أصولها في العام نفسه أكثر بقليل من ١٥ ملياراً، وهي تملك صحفاً استراتيجياً مثل صحيفة Wall Street Journal المختصة بالمال والأعمال، وهي من الصحف الأولى في الولايات المتحدة، وصحيفة New York Post الشعبية الأمريكية، كما تملك صحفاً في أستراليا وبريطانيا، وتملك دار نشر HarperCollins التي تعتبر واحدة من أهم خمس دور نشر باللغة الإنكليزية عالمياً، بالإضافة إلى عدد من الشركات الأخرى المتنوعة التي يمتد نشاطها إلى الهند. ومع أن روبرت ميردوخ ليس محسوباً علناً على اليهود، فإنه محسوبٌ سياسياً على المحافظين الجدد، كما أن ثمة لغطاً كبيراً حول يهودية أمه أليزابيث غرين، وللمزيد حول هذا الموضوع، الرجاء الذهاب للرابط التالي، تحت العنوان الفرعي «إمبراطورية روبرت ميردوخ الإعلامية وجذوره اليهودية»: <http://freearabvoice.org/?p=192>

(٣) شركة والت ديزني Walt Disney، وتعتبر من عمالقة التكتلات الإعلامية في العالم Media Conglomerate، وتعتبر الأولى (قبل كومكاست) إذا أخرجنا قنوات الكابل التلفزيونية من المعادلة، وقد بلغت مبيعاتها في العام ٢٠١٥ حوالي ٥٣ مليار دولار، وأرباحها الصافية أكثر من ثمانية مليارات من الدولارات، وقيمة أصولها أكثر من ٨٨ ملياراً من الدولارات، وعدد موظفيها ١٨٥ ألفاً. ويدير الشركة ويرأسها اليهودي روبرت ألن إيغر منذ العام ٢٠٠٥، وهو أيضاً عضو في مجلس إدارة شركة الحاسوب Apple، وقد سبقه في رئاسة شركة والت ديزني اليهودي مايكل إيزنر، ويبلغ راتب روبرت إيغر السنوي، مع الحوافز، عشرات الملايين من الدولارات. ويضم تكتل والت ديزني شركات عدة لعل أهمها استديوهات والت ديزني التي تنتج الأفلام والمسلسلات والأغاني والمسرحيات، وشركات مدن الملاهي العالمية والمنتجعات السياحية والرحلات البحرية، وشركات شبكات الإعلام التي تسيطر على القنوات التلفزيونية وأهمها شبكة قنوات ABC، وشركات المنتجات الاستهلاكية والبرمجية التي تنتج الثياب وألعاب الأطفال وألعاب الكومبيوتر وخدمات الإنترنت وتسيطر على عددٍ من دور النشر.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

(٤) شركة CBS، وقد بلغت عائداتها حوالي ١٤ مليار دولار في العام ٢٠١٥، وأرباحها الصافية حوالي مليار ونصف، وقيمة أصولها حوالي ٢٤ مليار، وعدد موظفيها ٢٥ ألفاً، بحسب موقعها الإلكتروني. أما رئيسها التنفيذي والمالك المهيمن فيها فهو سمتر رdstون اليهودي، أما رئيس الشركة ومديرها العام التنفيذي فهو ليزلي مونفس، ابن عم ديفيد بن غوريون من الجد الثاني، وبن غوريون طبعاً هو أول رئيس وزراء لدولة الاحتلال الصهيوني. وتمتلك شركة CBS استديوهات صناعة أفلام باسمها، وشركات إنتاج تلفزيوني وموسيقي، وشركات إنترنت، وحصّة في سوق قنوات الكابل، وشبكة قنوات CBS التلفزيونية وشبكة Showtime، ودار نشر Simon & Shuster، التي تنشر أكثر من ألفي عنوان سنوياً، وتعتبر واحدة من أكبر دور النشر عالمياً باللغة الإنكليزية.

(٥) شركة Viacom، وكانت تملك شركة CBS سابقاً، ولكنها انفصلت عنها في بداية العام ٢٠٠٦، لكن الانفصال مسألة تنظيمية صرف، إذ أن الشركتين تسيطر عليها شركة National Amusements التي يملك السيد سمتر رdstون المذكور أعلاه ٨٠ بالمئة منها، وتملك ابنته الـ٢٠ بالمئة الباقية، أي أن CBS وViacom يجب أن توضعاً معاً من الناحية المالية والسياسية، ولو كانتا منفصلتين إدارياً. وقد بلغت أرباح Viacom الصافية في العام ٢٠١٥ حوالي مليار دولار، وبلغت عائداتها أكثر من ١٣ مليار دولار، وقيمة أصولها حوالي ٢٨ مليار دولار، وعدد موظفيها حوالي عشرة آلاف. مدير الشركة هو السيد فيليب دومان، اليهودي، وثمة مواقع عدة على الإنترنت تذكر اسمه كجزء من إدارة شركة لافارج الفرنسية للإسمنت، التي أصبح اسمها لافارج هولسم، بعد اتحادها مع شركة هولسم السويسرية، لتصبح بحسب زعمها أكبر شركة للإسمنت ومشتقاته في العالم، بمبيعات تفوق ٢٧ مليار يورو في ٩٠ بلداً وأكثر من ١٠٠ ألف موظف، في العام ٢٠١٥. ويبدو أن صراعاً نشأ بين السيد فيليب دومان وابنة سمتر رdstون، بعدما بلغ الأخير من الكبر عتياً، لكن تلك قصة أخرى. المهم، تملك شركة Viacom استديوهات Paramount للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، ومنتجعات نيكولوديون، وشبكة قنوات Viacom على الكابل، وماركات Comedy Central وNick للموسيقى، وشركة MTV للإنترنت.

(٦) شركة Time Warner، وقد بلغت عائداتها أكثر من ٢٨ مليار دولار في العام ٢٠١٥، وأرباحها الصافية حوالي ٤ مليارات، وقيمة أصولها حوالي ٦٤ مليار دولار، وعدد موظفيها حوالي ٢٥ ألفاً. ويديرها ويرأسها السيد جيف بوكيس، الذي لا يظهر أنه يهودي، سوى أنه متزوج من يهودية، كما أن نائبه الرئيسي في الشركة ومدير اتصالاتها هو السيد غاري غينزبرغ، اليهودي، الذي كتب خطابات بنجامين نتياهو في عدة مناسبات! وتمتلك شركة Time Warner استديوهات Warner Bros. للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وحصّة في مدينة ملاهي كبرى قرب مدريد في إسبانيا، وشبكة بث Turner على الكابل، وقنوات HBO وCNN الإخبارية وغيرها، وشركات إنترنت وتسجيل موسيقي وحصّة مناصفة مع شركة CBS المذكورة أعلاه في شبكات CW التلفزيونية، ودار نشر DC Comics التي أعطت العالم عشرات الشخصيات مثل سوبرمان والوطواط والسهم الأخضر والبرق وغيرها.

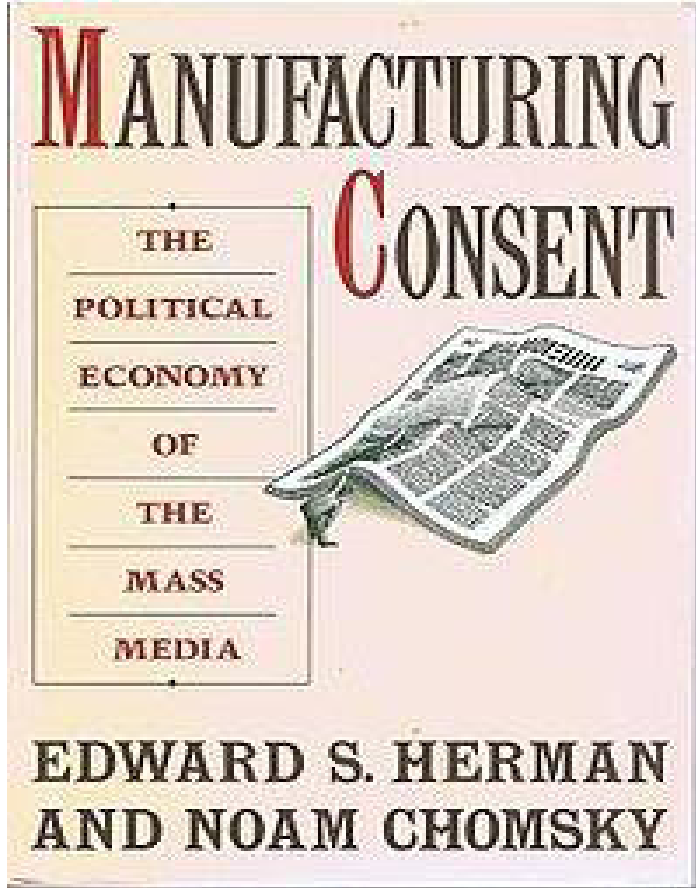
(٧) الفرع الأمريكي لشركة Sony اليابانية، المتخصص بإنتاج الأفلام والمسلسلات والموسيقى تحت اسم سوني، ويبت على الكابل تحت الاسم نفسه، والذي يملك شبكة البث التلفزيوني GetTV، وعدة شركات على الإنترنت للألعاب وتوزيع الأفلام والمسلسلات. وقد بدأت قصة دخول شركة سوني على خط التكتلات الإعلامية مع بيع شركة كوكاكولا (نفسها، للمشروبات الغازية) استديوهات Columbia Pictures لصناعة الأفلام التي كانت تملكها حتى نهاية الثمانينيات من القرن الفائت لتسيطر عليها شركة سوني. ومع أن الشركة يفترض أنها فرع لشركة يابانية، غير أن رئيسها ومديرها العام التنفيذي هو السيد مايكل لينتون، اليهودي. وقد بلغت عائداتها أكثر من ٨ مليار دولار في العام ٢٠١٥، ولديها حوالي سبعة آلاف موظف.

ومن المهم التذكير هنا، أن الفيلم والمسلسل التلفزيوني، خصوصاً الفيلم الأمريكي، بات مادة استهلاكية يومية عند مئات الملايين حول العالم، فقد بات الحامل الرئيسي لمنظومة القيم المعولمة والصهيونية التي ما برحت تخترق أشد الحصون مناعةً.

نجد، من جهة أخرى، أن أهم وكالات الأنباء العالمية، وهي الوكالات التي تأخذ عنها الصحف وقنوات الإذاعة والتلفزة التقارير والأخبار يومياً، هي: (١) وكالة الأوسشبيد برس (Associated Press، ٢) وكالة رويترز (Reuters، ٣) وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)، وكل منها لديه آلاف الموظفين وعشرات المكاتب حول العالم، ومثل هذه الوكالات تصبح المصدر الرئيسي للأخبار والتغطية الإعلامية «الموضوعية» لدول العالم الثالث، عن نفسها وعن بعضها البعض، ولكن الأولى أمريكية، وترأسها اليهودية ماري جنك، ورويترز بريطانية، تملكها شركة ثومسون الكندية التي تسيطر على كتل إعلامي ضخم في كندا والمملكة المتحدة بلغت عائداته حوالي ١٣ مليار دولار في العام ٢٠١٤، وبلغت أرباحه الصافية حوالي مليارين، وقيمة أصوله أكثر من ٣٠ مليار دولار، ويرأس شركة ثومسون السيد جيمس سميث الذي حارت مواقع الإنترنت في تحديد أصله وما إذا كان يهودياً أم لا. وأخيراً هناك وكالة الصحافة الفرنسية التي أسستها الحكومة الفرنسية في العام ١٩٥٧ كوكالة شبه مستقلة للحكومة الفرنسية ممثلون في مجلس إدارتها. والعبرة أن صورة العالم عن نفسه، وعن بعضه البعض، يأخذها ويستقيها من احتكارات ووكالات الأنباء العالمية التي تسيطر عليها شركات دولية كبرى (مثل وكالة رويترز بالنسبة لشركة ثومسون) أو دول إمبريالية (مثل بريطانيا بالنسبة للـ BBC أو فرنسا بالنسبة لوكالة الصحافة الفرنسية). أما أكبر وكالة أنباء على الإطلاق، فهي وكالة الأوسشبيد برس، فهي تعاونية تملكها مجموعة غير واضحة من الصحف والقنوات الإذاعية والتلفزيونية!

يدخل هنا مفهوم «الإمبريالية الإعلامية» الذي نشأ في خضم مناقشات حامية في منظمة اليونسكو في بداية السبعينيات حول التدفق الإعلامي والثقافي اللامتكافئ من دول المركز إلى دول الأطراف، أي من الغرب إلى العالم الثالث. وقد قادت الهند ومصر وأندونيسيا وقتها حملة لتقييد حرية وصول التكتلات الإعلامية الكبرى إلى دول العالم الثالث، على خلفية حركة عدم الانحياز، مما أدى لانسحاب الولايات المتحدة وبريطانيا من منظمة اليونسكو وقطع التمويل عنها. وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الإمبريالية والكبرادور في المحصلة، لكن تصاعد قوة التكتلات الإعلامية الضخمة ونفوذها عالمياً في الثمانينيات والتسعينيات أدى إلى نشوء تيار نقدي ضمن اليسار الغربي كان من أبرز رموزه في الولايات المتحدة مجموعة من الأساتذة الجامعيين والكتاب المتميزين مثل نعوم تشومسكي وأدوارد هيرمان وروبرت ماكشيزني. وقد أبدع هؤلاء في وصف ظاهرة تعلق التكتلات الإعلامية المملوكة لشركات خاصة وانسحاق نفوذها عالمياً، لكنهم بقوا حذرين في تناول الظاهرة الملزمة وهي عمق التغلغل اليهودي خلف صعود تلك التكتلات. فقد أظهروا في عشرات الكتب ومئات المقالات وآلاف الأبحاث كيف تنعكس بنية الملكية على مضمون الخطاب السياسي المنحاز للمصالح الإمبريالية، لكنهم تجنبوا الإشارة للتغلغل اليهودي في وسائل الإعلام حتى عندما انتقدوا الانحياز الإعلامي للكيان الصهيوني في بعض الحالات، من دون انتقاد الظاهرة الصهيونية نفسها، تشومسكي نموذجاً، حيث كان مثل ذلك النقد أقرب لنقد ليبرالي أو «صهيوني معتدل»، يمكن أن تقرأ مثله داخل الكيان الصهيوني، منه لأي شيء معادٍ حقاً للإمبريالية والصهيونية. بالرغم من ذلك، قدم هؤلاء إسهامات ريادية، علمياً، على طريق تأسيس منهج نقدي في الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام، يمكن الاستفادة منه والبناء عليه، ولو أنه يظل محتاجاً لنقد جذري بحد ذاته.

في المحصلة، لا بد أن ندرك أن الانحياز الصهيوني والإمبريالي في الإعلام العالمي الناطق بالعربية لا يأتي بسبب الانحياز الفردي لكاتب هنا أو محرر هناك، بل هو نتاج سياسات منهجية تعكس شبكة المصالح الكبرى التي تربط التكتلات الإعلامية الدولية برأس المال المالي الدولي الذي تشكل الحركة الصهيونية العالمية جزءاً عضواً منه، لا جزءاً يسير الكل على عكس مصالحه. كما أن الوزن المتزايد للتكتلات الإعلامية الدولية بات يجعل التكتل الواحد منها أكبر وأكثر تأثيراً من دزينة أو عدة دزينات من وزارات الإعلام في دول العالم الثالث، لا بل أن العائدات السنوية لبعض تلك التكتلات تفوق الناتج المحلي الإجمالي GDP لعدة دول عالم ثالث مجتمعة. والعبرة هي أننا بنتنا بحاجة لوسائل مقاومة إعلامية شعبية على نطاق عربي وعالمي، كجزء من مشروع مقاومة الإمبريالية والصهيونية. والأهم هو أن تأسيس تكتلات إعلامية وطنية وقومية بات جزءاً لا يتجزأ من مشروع التنمية المستقلة. ونلاحظ هنا أن دول منظومة البريكس مقصرة جداً على هذا الصعيد، مع أن صعود بوتين في روسيا ارتبط بالصدام مع التكتلات الإعلامية التي يقودها يهود مثل فلاديمير غوزنسكي وبوريس برزوفسكي، كما نلاحظ أن وسائل الإعلام التي تقدم نمطاً بديلاً تتعرض لحرب شعواء على صعد مختلفة، ومن ذلك مثلاً قرار مجلس النواب الأمريكي في ٢٠٠٩/١٢/٨ معاقبة فضائيات تؤيد المقاومة العراقية والفلسطينية واللبنانية، كانت قناة «المنار» من بينها، باعتبارها معادية للولايات المتحدة، واعتبار من يزودها بالخدمة داعماً للإرهاب.



وسبق أن كتبت في صحيفة «العرب اليوم» في ٢٠١٠/١/١٩ تحت عنوان «الإعلام الصهيوني-أمريكي الناطق بالعربية بين فشلته وخططه لاختراق الشارع العربي» أن «الخطاب الإعلامي الأمريكي-الصهيوني الموجّه للعرب فقد الكثير من قدرته على الإقناع والاختراق، ولذلك يتحرك الطرف الأمريكي-الصهيوني إعلامياً بشراسة اليوم على عدة مستويات إستراتيجية، مثل محاصرة وسائل إعلام المقاومة العراقية واللبنانية والفلسطينية قانونياً وصولاً إلى حظرها تماماً»، كما جرى مع المنار وغيرها، ومثل «الاختراق الإعلامي المباشر وغير المباشر، سواء من خلال فضائيات مباشرة للطرف الأمريكي-الصهيوني، أو من خلال الحلفاء»، ولنا في قناة سكاى نيوز بالعربية مثالاً هنا لحالة التحالف بين روبرت ميردوخ، المذكور أعلاه، والمال الخليجي، من خلال الوليد بن طلال، الذي يملك ٧ بالمئة من شركة نيوز، فيما تملك شركة نيوز ١٩ بالمئة من مجموعة روتانا التي يملك أغليبتها الوليد بن طلال، مع العلم أن مجموعة روتانا تمثل تكتلاً إعلامياً بدورها يضم استديوهات روتانا لإنتاج الأفلام، ومجلة روتانا، واثنى عشرة قناة تلفزيونية، منها LBC و «الرسالة» (الإسلامية) و FOX و FOX Movies و FX TV، وغيرها، وسبع محطات موسيقية، وتسجيلات روتانا للإنتاج الموسيقي، من بين أشياء أخرى، مثل سلسلة مقاهي روتانا!

وقد لفت النظر في تلك المقالة لنقطة أخرى، مرتبطة بما جاء أعلاه عن التكتلات الإعلامية، وهي سعي الطرف

الأمريكي-الصهيوني لـ «إنشاء قنوات عربية بالأسم، أمريكية بالمضمون الدرامي أو الإخباري، مثل بعض قنوات الأفلام التي تنقل بشكل مبرمج سياسياً مادة «ترفيهية» مختزقة صهيونياً في بلد المنشأ، من خلال هوليوود والشبكات الإعلامية الأمريكية، تمثل مشروعاً ثقافياً معولماً يبني الاختراق السياسي والتطبيعي على أرضية أمتن وأكثر ثباتاً، أرضية القيم والمفاهيم». ويبرز هنا بالضرورة مثال شبكة قنوات MBC، التي تضم عشرين قناة منها «العربية»، وتزعم أنها تصل لمئة مليون مشاهد يومياً، وهي شبكة قنوات يملك الأمير عبد العزيز بن فهد آل سعود الحصة الأساسية فيها، وقد انطلقت من لندن في العام ١٩٩١، لتنتقل بعد ذلك إلى دبي، ويرأسها ويديرها منذ العام ٢٠١٢ شخص يبدو أنه بريطاني اسمه سام بارنيت Sam Barnett كان قد انضم للشبكة في العام ٢٠٠٢، ولا تتوفر معلومات كثيرة عن خلفيته على الإنترنت، سوى أنه درس التاريخ والاقتصاد، وحاصل على شهادة ماجستير في إدارة الأعمال، وكان يعمل كمستشار، قبل الـ MBC، في مجال خصخصة قطاع الاتصالات في بريطانيا والوطن العربي. أما MBC، فتعني Middle East Broadcasting Center، أي «مركز بث الشرق الأوسط»، وهو أقرب لتوصيف عسكري أو أمني منه لتوصيف إعلامي!

## تغطية وسائل الإعلام البريطانية للخبر العربي

ياسمين بشار

يسوق الإعلام الغربيُّ بشكل عام خطابَه مغفلاً بالحيادية، خاصةً إذا ما كان موجهاً للشعب العربيّ -أو «شعوب الشرق الأوسط»- بحسب تعبيره، المأخوذة بشعاراتٍ «الحرية» و«الديمقراطية»، فهل كان الغربُ يوماً حيادياً في تغطية الخبر العربيّ؟ وسائل الإعلام البريطانية مثلاً...

- قناة (بي بي سي عربي)

يدرك المتابعُ لقناة معروفة مثل (بي بي سي عربي) ذات الشعبية الواسعة، أنّ خطوطاً عريضة تحكم تغطيتها للخبر العربيّ، لا تنفصل بالطبع عن سياسة المملكة المتحدة التي انتدبت نفسها قبل مئة عامٍ وصيةً على شعب هذه المنطقة المتأججة أبداً، من هنا فإنّ أبرز ما يميز هذه التغطية هو الكمُّ الهائل من المعلومات غير الدقيقة التي تسوقها والحملات المغرضة التي تنخرط فيها، سواء في سياق التزوير التاريخي المتعمد للصراع العربيّ الصهيونيّ، الذي تتحاشى الإشارة إلى كونه (احتلالاً) في معظم أخبارها مستخدمة مصطلحات خاطئة تاريخياً (إسرائيل والأراضي الفلسطينية، جنوب إسرائيل، القدس والضفة الغربية المحتلة...)، بالطبع، إنّ الهدف من وراء مثل هذه التغطية واضح، وهو تكريس فكرة وجود «دولة إسرائيل» في وعي المتلقي العربيّ، ما يجعل بريطانيا ليست المسؤولة عن جريمة تسليم فلسطين للعصابات اليهودية ١٩٤٨ فحسب، بل المسؤولة اليوم عن التضليل والتزييف الإعلامي بشأنها أيضاً.



وفي هذا الصدد تصف (بي بي سي عربي) المقاومة الشعبية -المشروعة لأي شعب ضدّ الاحتلال- في فلسطين العربية المحتلة بالإرهاب، أو «موجة العنف»، ولعلّ أفضل مثال هنا هو خير (الشرطة الإسرائيلية تقتل مواطناً عربياً متهماً يقتل إسرائيليين) حيث تتساءل عن «الدافع» وراء «عملية القدس» للشهيد البطل نشأت ملحم، فراحت تربط العملية بالولاء لتنظيم «الدولة الإسلامية» الإرهابي، عدا عن مئات الأمثلة الأخرى التي توضح رؤيتها لهذا الصراع الوجودي باعتباره «توتراً، إحباطاً فلسطينياً، أعمال عنف، موجة عنف متواصلة» مسجلة بذلك رقماً قياسياً بالانتهاكات الأخلاقية تجاه قضية راح في سبيلها عشرات آلاف الشهداء والجرحى والأسرى، ومبديّة انحياز تاماً إلى جانب كيان احتلال لا شرعية له على أي مستوى.

كذلك تمارس (بي بي سي عربي) التحريض الطائفي المباشر والمبطن، كما في تغطيتها أخبار العراق، البلد الذي عانى ولا يزال، من نتائج عدوان التحالف الأمريكي-البريطاني، حيث تظهر (بي بي سي عربي) براعة ملحوظة في تأجيج الصراعات وكييل الاتهامات الطائفية في معرض -الأخبار السياسية-!!! كذلك الوارد في سياق خبر بعنوان (دعوات لطرده السفير السعودي في العراق): «وقد قتل ٤٠ شخصاً على الأقل في وقت سابق هذا الشهر في هجمات على مساجد سنوية في مدينة المقدادية فيما يبدو رد فعل انتقامياً على انفجارين استهدفا مقاتلي ميليشيا شيعية»... في حالات كهذه لا تهتمّ القناة لعدم وجود مصدرٍ يدعم هذه المزاعم أو لعدم صحة المعلومة المطروحة، فالمطلوب من صياغة الخبر اللغوية يفى بالعرض.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

وفي تغطيتها الحرب المدعومة غريباً وأمريكياً على سورية، المسماة في قواميسها «انتفاضة»، احتجاجات، حرباً أهلية، أو معارضة»، تقوم (بي بي سي عربي) بإطلاق مصطلح «الإرهاب» على أعمال استهداف المدنيين العزل حصاراً في الأخبار والتقارير المتعلقة بالغرب والولايات المتحدة، في حين يسمي مرتكبوها في أوطاننا (ثواراً ومعارضين، أو متشددين) في أحسن الأحوال، ولعل من السذاجة اعتبار السياسة التحريرية لأخبار القناة مجرد ازدواجية معايير أو أخطاء بسيطة أو هفوات. وهنا يتبادر السؤال فوراً عن المهنية التي يدعون، والحيادية التي يلتزمون؟ مادامت مهمة الإعلام عكس ما يفعلون تماماً...

- قناة (سكاي نيوز عربية)

قناة (سكاي نيوز عربية) لا تختلف عن سابقتها من ناحية تغطيتها للقضية الفلسطينية والتعظيم على جرائم الاحتلال اليومية بحق الشعب العربي الفلسطيني، أو من ناحية تزيير هذه الجرائم باعتبارها (عنفًا متبادلاً، رد فعل إسرائيليًا) على «موجة طعن ودهس فلسطينية، عنف فلسطيني متصاعد، اعتداءات فلسطينية»، وكذلك الحال بالنسبة لسياسة التحريض الطائفي في الأخبار السياسية - طبعاً في سياق موقف القناة المعادي للمقاومة اليمنية ضد العدوان السعودي أو المقاومة الوطنية اللبنانية «حزب الله»- على أنها تتفوق على (بي بي سي عربي) لجهة إصرارها على تلميع صورة العدوان السعودي على الشعب العربي اليمني بزعم أنه (حملة ضد المتمردين الحوثيين، حملة لاستعادة الشرعية)، ولجهة التجاهل التام لمجازر هذا العدوان الذي أودى حتى الآن بحياة آلاف المدنيين وأسفر عن آلاف الجرحى والمصابين، وهنا تعتبر القناة هذا العدوان «تحالفاً عربياً» في مئات الأخبار المركزة حول اليمن، مع توظيف مكثف للخبر الإنساني في التحريض السياسي، علماً أن هذا «التحالف» يضم دولاً عربية وغير عربية مثل باكستان، أي أنه لا يمثل العرب أو العروبة بأي حال، فهل استخدام هذه المصطلحات المشبوهة والخاطئة تماماً هي أخطاء غير مقصودة؟ بالطبع لا، خاصة إذا ما علمنا أن المصدر الرئيسي لمعظم هذه المعلومات المغلوطة والمصطلحات الخاطئة هو وكالة «رويترز» البريطانية أيضاً...

- وكالة رويترز

وكالة (رويترز) مصدر موثوقٌ لعدد كبير من وسائل الإعلام العربية والعالمية، وعنها تأخذ المعلومات والمصطلحات أحياناً، إلا أنه قليلاً ما يتم التأكد من صحة ما تنشره الوكالة باعتبارها منبعاً للأخبار الجاهزة غير ذات الحاجة للتدقيق، لكن ذلك لا يعني إطلاقاً أنها الوكالة الصحفية «الأحرص» على المهنية والموضوعية، «والحيادية»، حيث تأخذ رويترز على عاتقها مهمة اختراع المصطلحات المشبوهة وتسويقها، فهل تساءل أحد عن معنى مصطلح (المعارضة المسلحة) في سورية، عند الإشارة إلى التنظيمات الإرهابية والتكفيرية ذات السجل الإجرامي الحافل؟! مع العلم أنه لا يمكن لها أن تفكر باستعماله لو كان الحديث عن هذه التنظيمات في بريطانيا مثلاً، أو عن سبب إطلاق تسمية (القوات الحكومية) عند الحديث عن الجيش العربي السوري فقط، علماً أن الوكالة تستخدم الأسماء الرسمية لكل جيوش العالم مثل (الجيش الأمريكي، الجيش المصري)، كذلك هل اكتشف أحد المعيار الذي تتخذه في اعتبار المقاومة العربية الفلسطينية (عنفًا) في حين تسمي الإرهاب المدعوم بريطانياً وأمريكياً في سورية (انتفاضة)؟؟!

- الإعلام الغربي لا يمكن أن يكون «محايداً» في القضايا العربية

رب قائل: «ليس مطلوباً من وسيلة إعلامية أجنبية أن تتعاطف مع قضاياها، التي «نعتبرها محقة»، بل المطلوب هو إظهار الصورة الحقيقية ونقل الواقع كما هو... في الحقيقة لا تخلو هذه المقولة من وجه حق، كذلك لا تخلو من وجه خطأ فادح من جهة أخرى، فربما أن لنا بعد كل ما حدث على الأقل خلال المئة العام الماضية، أن نتعلم ألا نطلب العدالة من الخارج -أيما كان هذا الخارج- ففي ذلك مدعاة للسخرية، خاصة أن لكل دولة مصالحها، ولكل سياسة أهدافها، والإعلام بشكل عام، هو الأداة الأكثر تأثيراً في تحقيق هذه المصالح، ومن هذا المنطلق ليس مستغرباً سعي الدول لامتلاك شبكات الاتصال والمجموعات الإعلامية الكبرى، وغيرها من وسائل التواصل والترفيه، وهو ما تفعله بريطانيا التي اتخذناها مثلاً هنا من خلال أدائها الإعلامية: (بي بي سي)، (سكاي نيوز)، (رويترز) على سبيل المثال لا الحصر، أما وجه الخطأ الفادح هنا، فهو اقتناعنا أن هذه الوسائل يمكن أن تظهر صورة حقيقية، أو تنقل واقعاً «كما هو» بحيادية مطلقة... وبعيداً عن العاطفة، فإن تغطيتها للخبر العربي توضح بما لا يدع مجالاً للشك أنها تظهر صورة كالتالي ترسمها وزارة الخارجية في المملكة المتحدة، وتنقل واقعاً كالذي تريده حكومة هذه المملكة، لكنه ببساطة، ليس حقيقياً... ولئن كان التزام الإعلام الأساسي هو (حق الجمهور في المعرفة)، فإن هذه المعرفة لا تتحقق من دون أعمال هذا الجمهور عقله في كل معلومة وعند كل مصطلح وأمام كل مصدر، وإلا فالاستغناء مستمر والتزييف محقق، والواقع السيء الذي نعيشه ماضٍ إلى الأسوأ.

## شخصية العدد: أحمد سعيد - مذيع الزمن القومي العربي

### نسرین الصغير



أحمد سعيد أيقونة الإعلام الناصري وصوت العرب من القاهرة، أحمد سعيد الذي تقاسم الأثير مع عمالقة القومية العربية، كلماته الحماسية التي تركت بصمة في الإعلام العربي كانت دماء في شريان الشعور القومي بين أبناء الشعب العربي... ولد أحمد سعيد بالقاهرة في ٢٩ من آب عام ١٩٢٥ وبعد حصوله على الثانوية العامة عمل في مؤسستي أخبار اليوم ودار الهلال، ودرس الحقوق خلال عمله، وفي عام ١٩٥٠ بدأ حياته العملية في الإذاعة كسكرتير قانوني لأول مدير مصري للإذاعة.

بدأ في عام ١٩٥١ بالعمل ببرنامج إذاعي، وكان حول الاستفتاء على معاهدة ١٩٣٦ وحمل عنوان «تسقط معاهدة ٣٦»، وانتقل للعمل الفدائي في قناة السويس وكان يتحدث عن العمليات الفدائية قبل قيام ثورة تموز عام ١٩٥٢ في قناة السويس ضد الاحتلال البريطاني.. وأبعد عن العمل بالإذاعة بعد حريق الإذاعة في أيار عام ١٩٥٢. كانت رسائله واضحة ضد الملك والاحتلال، وقد وجهت له تهمة إثارة الجماهير.

التقى الرئيس جمال عبد الناصر عشرات المرات منها مرتان قبل الثورة. وبعد الثورة التقى الرئيس جمال عبد الناصر بأحمد سعيد في العام ١٩٥٣ واستمر اللقاء لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة وبدأ بإذاعة برنامج وكان موضوعه الرئيسي هو البترول العربي وسرقة بريطانيا له مما أثار حفيظة بريطانيا، وبعد توقيع اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ خفف البرنامج حملته ضد المحتل البريطاني.

يقول أحمد سعيد عن لقائه بالرئيس جمال عبد الناصر: كان محور الحديث مع عبد الناصر عن الشؤون العربية و مهام إذاعة صوت العرب التي كانت موجهة للشعب العربي كله لا المصري فحسب.

وفي عام ١٩٥٩ عُين أحمد سعيد مديراً لصوت العرب التي اعتبرت من أهم الإذاعات العربية في تلك الحقبة، وكان أحمد سعيد أول إعلامي عربي تتصدر صورته وتعليقاته الصحف ونشرات الإذاعة والتلفزيون، وقد اشترك في وضع عدة دراسات متصلة بالإعلام واتجاهات الرأي العام في الوطن العربي، واختير لوضع دراسات متخصصة عن طبيعة المواد التلفزيونية الواجب تقديمها للمشاهد العربي.

في عام ١٩٦٥ كان اسم أحمد سعيد مرفقاً على قائمة أسماء المشاركين بالوفد المصري المسافر إلى لندن برئاسة السيد مرعي وثروت عكاشة، لكن مجلس العموم البريطاني اعترض عليه وطلب شطبه من القائمة بتهمة التحريض على قتل الجنود البريطانيين في اليمن التي كانت لا تزال تحت الاحتلال البريطاني، إلا أن عبد الناصر كعادته رفض الإملاءات الغربية عليه، وكادت أن تحدث أزمة بين البلدين بسبب وجود أحمد سعيد، حتى تدخل رئيس الوزراء الإنجليزي وقتها «هارولد ولس»، وألقى خطاباً بشأنه في مجلس العموم لنزع فتيل الأزمة.



انتهت مرحلة عمله في صوت العرب بعد أن قدم استقالته بعد حرب الـ١٩٦٧. وقد تميّز أحمد بأسلوبه الفريد والحاد وصوته الرخيم، وعباراته الساخنة ضد الاستعمار وعملائه، وبياناته البليغة المحرّضة على مقاومته ومقاتلته بكل السبل، فعندما كان يبدأ الحديث على المايكروفون كان الوطن العربي من شرقه إلى غربه يتشوق لسماع حديثه القومي العربي الجذري فحديثه عن اليمن كان لا يختلف عن حديثه عن سورية ومصر والعراق.

أحمد سعيد إعلامي ومذيع لم يقدر جيشاً أو يعقد صفقات السلاح، ولم يعمل في أجهزة المخابرات أو كمستشار، كما يفعل بعض الإعلاميين في وقتنا الحاضر، ولم يظهر لنا بمظهر السياسي أو المحلل، لكنه كان يحمل النفس القومي وبيته لمن يسمعه، وهو لم يخن الوطن، بل ظل صوتاً يردد كلمات المقاومة التي تتناغم مع وجدان كل عربي.

كم نحن اليوم بحاجة لأمثال أحمد سعيد الذي لا يعرف أن يهاجم إلا المحتل، من البريطاني للصهيوني. كان مثلاً للمذيع العربي، فلم تكن كلماته إلا في خندق الأمة، ولم يوجّه سهامه إلا إلى عدو الأمة من استعمارٍ وصهاينةٍ ورجعيين عرب.

تجسدت في أحمد سعيد قوة الكلمة والأثر الفاعل للإعلام، ولم تكن المسألة دعاية لعبد الناصر بقدر ما كانت دعوة قومية عربية حملت عبر الأثير ثورة الجزائر وقضت كلمات صوت العرب مضاجع الاستعمار الفرنسي وحملت صوت ثورة اليمن على الرجعية العربية، رجعية أئمة عصور الظلام ووهابية البترودولار. لم يكن أحمد متميزاً لأنه يملك نواصي اللغة العربية فقط وإلا لتساوى مع كثير غيره، لكن فحوى الخطاب الذي عبّر عن الزمن القومي العربي في انطلاقته هو الذي ميّزه، فالخطاب القومي حمل أحمد سعيد بمقدار ما حمله هو. فليس أحمد سعيد فقط أو طبيعة الخطاب العربي هو ما ميز صوت العرب، بل تلقّف الجماهير العربية لهذا الخطاب هو الذي ترك كل ذلك الأثر، وفي زمن التجارة بالقلم والصوت والصورة كم نفتقد قامات إعلامية كأحمد سعيد!



## دور الفكر الوهابي في تدمير الإرث التاريخي العربي

أحمد عدنان الرمحي



من غير الموضوعي عدم الاعتراف بتغلغل الفكر الوهابي السلفي في عقول الملايين من أبناء الأمة العربية، فقد ساهمت عوامل عدة في تمدد وانتشار هذا الفكر. أحد تلك العوامل هو عامل التأثير التفاعلي المباشر حيث عمل ملايين العرب منذ الخمسينيات في الخليج العربي لينشأ أبناء تلك الجاليات على ذلك الفكر، الذي زرع في عقولهم في المدارس وفي نمط الحياة الصحراوي، ليعود أولئك إلى بلادهم إما منظرين للتيار الوهابي أو على الأقل معتقدين له. كما ساهمت الفضائيات «الدينية» في نشر هذا الفكر، عبر خلق نجوم إعلاميين وهابيين ينشرون كل ما هو غريب وظلامي، وقد تمكن ذلك الفكر بالفعل من التغلب على الإرث المذهبي الديني الأكثر تقدماً سواء في بلاد الشام أم في مصر، فتراجع المذهب الشافعي وتراجع الأزهر أمام السيل الوهابي الجارف.

يرى أتباع محمد بن عبد الوهاب أن منهجهم هو منهج أهل السنة والجماعة حيث اعتمدت أفكار ابن عبد الوهاب بشكل عام على إحياء فكر ابن تيمية وابن قيم الجوزية في نبذ «العادات» التي رآها الشيخان ملتبسة بالشرك، وهنا ولدت الحجة الرئيسية للمجزرة التاريخية حيث دأب أصحاب ذلك الفكر على العمل على هدم وتدمير كل إرث عربي أو إسلامي أو تاريخي بحجة أنهم يحاربون الشرك! وكان الناس تتعبد الآثار، أو بحجة أعجب،

ومصدرها أنهم يحاربون كل من يتفاخر «بقصص الأولين»، فلذلك وجب على الوهابي الحريص أن يقوم بتدمير إرث كل الأقوام التي هلكت لأنها ضالة، معتقدين أنه لا بد عليهم تنفيذ ما بدأه الرب في القضاء على تلك الحضارات وجرف إرثها وآثارها.

بدأت تلك الحادثة الفاجعة عندما اتفق كل من محمد بن سعود أمير الدرعية ومحمد بن عبد الوهاب على العمل معاً على توسعة بلادهم ونشر الوهابية باحتلال المدن المجاورة شريطة أن تكون القيادة السياسية لمحمد بن سعود والدينية لمحمد بن عبد الوهاب، واحتلوا بعض المناطق المجاورة وتمكنوا بالفعل من السيطرة على مساحات واسعة من شبه الجزيرة العربية.

فشرعوا في هدم الشواهد والآثار النبوية المتبقية، مثلما فعلوا بمكان ولادة النبي محمد بن عبد الله، ومكان عيشه في مكة، وبيت الصحابي أبي أيوب الأنصاري، ورددوا بئر العين الزرقاء، وبئر أريس (بئر الخاتم)، وبئر حاء، وغيرها، وكذا هُدمت الأضرحة والقباب وقبور الصحابة لأنها تعتبر، بحسب اعتقادهم، من وسائل الشرك والغلو في الأنبياء والصالحين، رغم أنها قد تحمل قيمة تاريخية أو أثرية أو فنية أو حتى دينية لغيرهم من المسلمين أو غير المسلمين.

وتتالت المجازر التاريخية في مكة، فقد تمت إزالة أعمدة كان يعود تاريخها إلى العصر العباسي، بحجة كونها في طريق البناء أو التوسعة، أو بحجج واهية أخرى كاعتبار الزخارف التاريخية والثقافية بوابات لخطيئة ربط الألوهية بأي شيء آخر غير الله.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

كما تم هدم أو البناء فوق أماكن تاريخية أخرى ذات صلة بحياة النبي محمد في العقود الأخيرة، ففندق هيلتون ومطعم الوجبة السريعة بيرجر كينج يقعان اليوم مكان بيت أقرب رفيق للرسول وأول خليفة في الإسلام. وبيت زوجة الرسول، السيدة خديجة، أعطى مكانه الآن لـ ١٤٠٠ من المراحيض العامة.

وفي مطلع الألفية أخذت العدوى الجنوبية تنتشر خارج مملكة آل سعود فكانت حادثة تدمير تماثيل بوذا باميان والتي أنجزها وهابيو طالبان الذين تماهوا مع ما قام به منظروهم الوهابيون في مملكة آل سعود.

وأخذ الوباء يتمدد حتى وصل أوجه فيما يسمى زمن «الربيع العربي» ووصول حركة الإخوان المسلمين إلى الحكم في مصر، حيث كانت البيئة خصبة لانتشار ذلك الفايروس، فبدأنا نسمع نهيق منظري السلفية في مصر ممن دعوا إلى تدمير الأهرامات وتمثال أبي الهول والمساجد التاريخية وغيرها!

أما في العراق، فقد قام تنظيم داعش الوهابي بتلغيم وتفجير عدة مساجد تاريخية منها مسجد النبي يونس في الموصل، بالإضافة إلى تدميره لعدة مساجد، وكنائس، ومعابد أيزيدية قديمة، بالإضافة إلى المراقد الشيعية، ويرجع تاريخ إنشاء تلك الأضرحة إلى القرن الحادي عشر، وتتضمن عدداً من أقدم المساجد في الموصل، كما تحتوي على مجموعة من المقتنيات التاريخية.

مسلحو تنظيم داعش الظلاميون قاموا أيضاً بنسف مسجد السلطان ويس في حي الفاروق والذي يعود تاريخ إنشائه إلى العام ١٨٣٨ ويعتبر واحداً من أقدم المساجد التاريخية في نينوى، كما قاموا بتفجير أجزاء من قلعة «تلعفر» التاريخية.

وكانت المجزرة الحقيقية عندما اقتحموا متحف الموصل ليديمروا كل محتوياته لينجزوا ما كان يسعى إليه الاحتلال الأمريكي منذ العام ٢٠٠٣ أبان غزو العراق، عندما نهب المتحف العراقي في بغداد، كخطوة أولى لمحو هوية العراق التاريخية.

وتفوق الوهابيون على الصهاينة الذين اجتهدوا فعلاً بتجريف التاريخ والمدن والقرى العربية الفلسطينية بكنائسها ومساجدها، وأسمائها العربية الكنعانية، ففعلوا ما لم يفعل الصهاينة خلال أكثر من ستين عام بأقل من ٣-٤ سنوات عاشوا فيها بالوطن العربي خراباً... وقد ساند الدواعش في المهمة توأمهم الفكري - «السعودية»، ففي اليمن قُصفت ناطحات السحاب الطينية الأثرية والقلاع التاريخية العربية اليمنية عبر أسراب غربان سلاح الجو السعودي المستوردة من العم سام، بعد أن استنفذت القيادة العسكرية للحلف السعودي الأعمى بنك الأهداف العسكرية والحياتية الفقيرة أصلاً أما في سورية، فقد أقدم الدواعش على الفتك بمدينة تدمر، حيث أثار مملكة تدمر العربية والتي كانت تحمل طابع المدن الإغريقية والرومانية بأبنيتها الملكية والتي تتميز بالفخامة، فقد كانت المدينة من أغنى المدن وأكثرها ثراءً وعظمة، بل حولوا مسرحها إلى ساحة للإعدامات العامة بحق أسرى الجيش العربي السوري الذي قام بتحريرها في نيسان من العام ٢٠١٦ ليعيد إليها ضيائها بعد الظلام الداعشي الدامس الذي حل عليها.

خلاصة الأمر أن علينا التفكير في الهدف الحقود الذي يدفع الوهابيين والصهاينة إلى تلك الممارسات في الوطن العربي، والتفكير بخطورة إزالة تلك الشواهد الحضارية! فقد كانت الشواهد والآثار التاريخية في بلادنا، ولا تزال، الدليل الأقوى على هوية هذه الأرض والأداة الفاعلة في دحض الخرافات التوراتية التي تدعي إرثاً وحضارة لبني إسرائيل في بلادنا، فهي تثبت أن بني إسرائيل ليسوا إلا قوماً مروا من بلادنا لوهلة من الزمن ولم يتركوا لهم أثراً ولا مدناً ولا حضارة، بينما كانت آثار مدننا التي صارت الزمان الدليل الحقيقي، بل «الطابو» الذي يثبت ملكية العروبة لهذه البلاد منذ بدء الزمن، ويحمي تاريخها من التزوير والعبث.

إن محو تاريخ المنطقة يعني أن تصبح من دون هوية، وأنها تجمع أقواماً وأعرافاً ومذاهب غير متجانسة لا يربطها رابط وبالتالي ستكون لقمة سائغة للتفكيك والاحتلال، لذا وبعد هذا لا بد لنا أن نخرج بخلاصة واحدة هي أن الصهيونية والوهابية وجهان لعملة واحدة.

## مراجعات نقدية على هامش تاريخنا

### علي بابل



إن النقل الأعمى للمعلومة يقود إلى إيمان أعمى أيضاً بالنتيجة التي تصدر عن هذه المعلومة التي تُنقل بلا أي دراسة أو بحث علمي ممنهج. وهذا ما حدث تحديداً مع أغلب الباحثين في التاريخ العربي، خصوصاً من صدّق أن الغرب يعطينا المنهج العلمي في دراسة تاريخنا بلا أي كذب أو تفتيق.

في حاضرنا الآن مثلاً تُطلق على المساجد «الجوامع» أسماء أعلام؛ منها ما هو تاريخي تكريماً لإنجازات هذا «العالم» أو الشخص، كجامع خالد بن الوليد مثلاً أو عمر بن الخطاب، أو علي بن أبي طالب.... الخ. وفي حالات أخرى تُطلق أسماء أشخاص عاديين تكريماً لأرواحهم بعد رحيلهم عن هذه الدنيا. ولو افترضنا، وبعد ١٠٠٠ عام من الآن، تغيّر العالم والبشر وبالتالي سيشمل التغير الجغرافيا واللغة إلى حد ما، وفي بعض الحالات يمكن أن يكون التغير جذرياً وكلياً في اللغة أو الكتابة، عندها سيأتي علماء الآثار والتاريخ للبحث عن آثار هذا الشعب أو ذلك، ليجدوا بقايا وآثارها بعضها اجتماعي يومي حياتي، وبعضها الآخر ديني وروحي كالجوامع على سبيل المثال!!!! بكل سهولة يستطيع هؤلاء العلماء أن يستنتجوا أنّ شعباً ما سكن في هذه المدن، وكان موجداً للرب، ولكنه عبد أيضاً هذه الأسماء أو الآلهة، تقرباً للرب الأكبر أو قدسها تقرباً للرب كبير الآلهة!!!

هذا هو التاريخ؛ علم شمولي صعب الحصر، بل مستحيل لمن أراد أن يستجري الحقيقة الكاملة، ولكن في نفس الوقت هناك الأقرب للحقيقة والعلمية التاريخية عبر استخدام وسائل البحث الأثري والتاريخي وباقي العلوم المساعدة وهي كثيرة، لا السير وراء خزعبلات كتبها غربيون «مستشرقون» ذوو نزعة عنصرية دينية في كثير من الأحيان إن لم تكن سياسية ذات أطماع استعمارية!!!!

إنّ مصادر التاريخ العربي، وتاريخ الشرق عموماً، التي تمّ الاعتماد عليها من قبل المستشرقين ومن ثم المؤرخين العرب أو أغلبهم هي إما التوراة في التاريخ القديم تحديداً، أو التاريخ اللاتيني الإغريقي. وتمّ الاعتماد على اللغة «اللاتينية» أو اليونانية كمرجعية لترجمات التاريخية بالرغم من أن اللغة اللاتينية القديمة عند ترجمة كلماتها لا يستطيع أي لغوي أن يعود بهذه الكلمات إلى جذورها غالباً، وذلك ببساطة لأنها ليست لاتينية بل عربية قديمة، ونسوق هنا مثلاً بسيطاً على ذلك: Acropolis أو «الأكروبوليس» ومعناه كما هو معروف الصخرة العليا!!!

استناداً للدكتور أحمد الداود الذي يفكك الكلمة لمقطعين: «عكرو» و«بول» أي «عكروبول»، و«عكرو» تعني الحصن، أما «بول» فمعناها الأمير، وتضاف السين كما هو متعارف قديماً (حرف «السين» في اللغة الفينيقية للتقدیس) فأصبحت عكروبولس. وأيضاً كلمة «عمان» والتي تعني في القاموس السرياني مبدع مبتكر خلاق.... الخ، وبإضافة هاء التعريف الفينيقية أصبحت «هيومن» أو human أي إنسان عاقل، وهناك مئات الأمثلة على ذلك مثل كلمة «الألب»، جبل الألب المقدس، وهو جبل «حلب» بحسب اعتقاد الداود، وكركلا من الجذر «كرك»، أي القدرة أو القوة بحسب الدكتور محمد بهجت القبيسي، وهناك أمثلة ليست في اللغة اللاتينية، بل حتى اللغة السلتيّة ومنها «Borg»، وهي واضحة وتعني «برج»، وهي مدينة سلتيّة شهيرة.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

ذكر منظر العنصرية الأول في أوروبا «غوستاف لوبون» في كتابه حضارة العرب، «لقد كان الأوروبيون يشوون الأطفال العرب في القرن الـ١٢ للميلاد». لقد ظل جزء كبير من الأوروبيين يعيش حياة حيوانية وصولاً لفترة متقدمة جداً من التاريخ.

لذلك، وبالنظر إلى أن الحضارة هي تراكم كمي ونوعي يحتاج فترةً زمنيةً طويلةً من الاستقرار والتعايش بين عدد غير قليل من السكان ضمن جغرافيا تحتوي عوامل الاستمرار والاستدامة للحياة البشرية، وهذا ما لم يجده علماء الآثار في اليونان قبيل ظهور الحضارة اليونانية في أثينا وما حولها، فلا بد لنا من التساؤل كيف للحضارة اليونانية أن تظهر فجأة من العدم؟؟؟

فما بين الفترة الممتدة من ٧٥٠ قبل الميلاد إلى ٤٨٠ قبل الميلاد لم تكن هناك أي حضارة تذكر في تلك المنطقة، لا اجتماعياً ولا سياسياً، ومن ثم وهكذا فجأة في القرن الخامس قبل الميلاد ظهرت من دون مقدمات حضارة عظيمة قوية منظمة ذات لغة واحدة ونظام سياسي شبه موحد وعادات وتقاليد وعقيدة لها أصولها..... إلخ!!!!

إن التبرير المنطقي لظهور حضارة عظيمة مثل الحضارة اليونانية بشكل فجائي وكثيف سكانياً يأتي عبر نظرية الهجرات السكانية من منطقة حضارية أخرى لأسباب مختلفة منها التغير المناخي أو الحروب والهجمات البربرية. وقد أشار علماء التاريخ والآثار إلى أن الفترة التي ظهرت فيها الحضارة اليونانية هي نفسها الفترة التي سقطت فيها بابل وباقي الشرق العربي بيد البرابرة والفرس، وذلك بعد عدة زلازل ضربت المنطقة السورية الكبرى. وقد أدت هذه الزلازل والهجمات البربرية إلى نزوح سكاني جماعي من هذه المناطق وصولاً إلى جزر بحر إيجه، وهكذا ظهرت الحضارة اليونانية!!!! وهذه مجرد ملاحظات تاريخية لا أقل ولا أكثر لا تزال بحاجة إلى الكثير من البحث والعمل الأكاديمي والبحثي. وهناك فن العمارة واللغة والدين، وحتى السمات العرقية، التي يستطيع الباحث أن يعتمد عليها لكي يصل الماضي بالحاضر، ولكن للأسف لا تزال الكتابات التوراتية هي التي تسيطر على أغلب المواد داخل الجامعات الغربية والعربية بالرغم من ظهور بعض العلماء في الغرب ممن أنصفوا تاريخنا إلى حد كبير، وخلال العشرين عاماً الماضية ظهر العديد من الباحثين والعلماء العرب الذي تصدوا للتزوير والتلفيق التوراتي.

إن اختلاف وتعدد التسميات لحضارة واحدة أو لغة واحدة قد يسبب الكثير من التداخل والمغالطات في الفهم لتاريخ هذه الحضارة أو اللغة، فهناك من يطلق على اللهجة السريانية «أرامية» أو فينيقية، كنعانية، آشورية... إلخ. وهذا تداخل منطقي ضمن التاريخ بالنظر إلى وجود عدة مدارس في دراسة التاريخ وعدة أساليب بحث ومعرفة. ولكن للدقة التاريخية فإن الأقدم هو الأصل، وقد وجد في نقش «نازان»، ويعود للألفية الثالثة قبل الميلاد، ونازان ملك هو ابن شاروكين، والد نارام سين أحد أهم ملوك الشرق القديم، وقد ذكر النقش حرفياً ما يلي: «عرب ملوكا وعرب مكان»، وهي أقدم تسمية نستطيع أن نعتمدها على اللغة واللهجات، وحتى السكان عامة. وعند استبدال المصطلحات التوراتية أو «المكانية»، أي التي أطلقت على أساس اسم الجغرافيا التي وجد فيها هذا الأثر أو النقش، بمصطلح عربي، عربية، أو عرب فإن ذلك سيسهل الفهم على الباحثين وكل من يدرس التاريخ عامة، وسيصنف الشرق العربي والإنسان الأول مبدع الحضارات الأولى مهد الإنسانية.

ولعل من أهم التسميات التي انتشرت في علم التاريخ بشكل اعتباطي هي «الهكسوس»، والتي تشير إلى الجماعة التي حكمت مصر حوالي ١٧٨٦ قبل الميلاد، في عصر الانتقال الثاني في بلاد وادي النيل، أي عند نهاية المرحلة الوسطى. وتعود التسمية للمؤرخ المصري «مانيتون» في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد كتب باليونانية وبعض الكتابات التوراتية، بالرغم من أننا نجد في بداية حكمهم في العائلة الملكية الرابعة عشر أسماء عمورية للملوك مثل النبطي، أبو فيس، سلط، داخيان... إلخ. وأيضاً نجد أن بعض الآباء أو «الآلهة» عندهم كانت عربية قديمة مثل بعل وعناة، وهذا ما جعل المستشرقين يؤكدون على أن هذه الجماعات «الهكسوس» تتكون من عدة أعراق أو قوميات ومنها العربي، أو كما سمّوه «سامية» بعد أن كانوا قد أكدوا على أنهم جماعات بدوية، وفي بعض الأحيان جماعات «هندو أوروبية»، وذلك في إصرار منهم على عدم الاعتراف بعروبة السكان والمنطقة!!!

يذكر الدكتور محمد بهجت القبيسي أن جميع النقوش في مصر تثبت أن هذه الجماعات «الهكسوس» دخلت مصر من دون أي قتال أو معارك، ويشير إلى أن الملك المصري «رعمسيس الثاني» قد احتقل بعيد «الأربعمئة» في ذكرى دخول «الهكسوس» إلى وادي النيل، وهذا دليل آخر على أنهم دخلوا إلى أرضهم أهل بيت لا غزاة كما تزعم أغلب الكتابات المتعلقة بتاريخ وادي النيل القديم.

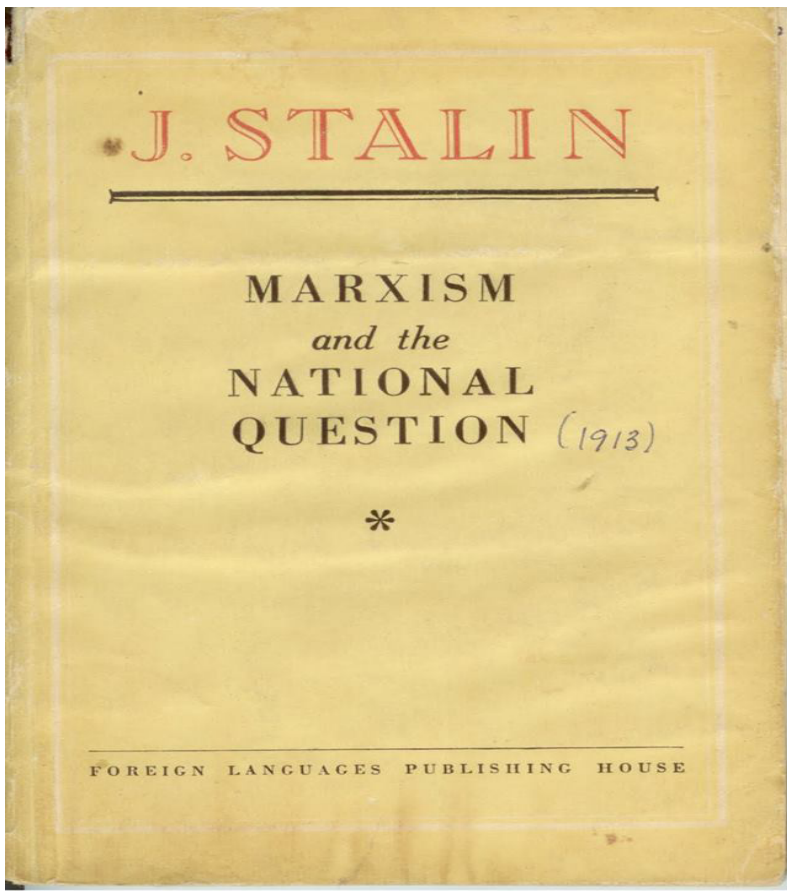
وتجدر الإشارة إلى أن الكتابات المصرية القديمة ذكرتهم باسم «العمو» لا «الهكسوس»، وهذا تأكيد من أهل وادي النيل بذاتهم على أنهم عموريون لا غير.

قام العموريون عند دخولهم وادي النيل بإدخال الخيول للجيش والعربات العسكرية، وصناعة الحديد، وطوروا الخليط النحاسي، وهذا ما لا يشير إليه الكثير من المستشرقين. ولكي يكون الرد على نظرية أن العموريين «الهكسوس» قد غزوا مصر قادمين من آسيا، وهذا مستحيل عسكرياً في ظل سيطرة حمورابي ومن خلفه على المنطقة الممتدة من حلب إلى الكويت، وفي ظل وجود دولة يمحاض العربية التي حكمت من الإسكندرون إلى حلب وصولاً للبحر، مما يشكل حاجزاً عسكرياً في وجه أي غزوات رعوية من كل آسيا والمنطقة العربية.

إن الحفاظ على التاريخ القومي واجب قومي، وطني، وإنساني له أهميته المستقبلية في الحفاظ على الهوية القومية التي تتعرض لهجمة بربرية من قبل الإمبريالية وأدواتها الرجعية وذلك لمحو التاريخ الطويل لهذه الأمة الأعرق تاريخياً، وبالتالي محو التاريخ الأصلي والحقيقي للإنسانية وهذا أحد أهم أهداف الإمبريالية في أعلى مراحل تطورها لكي «تذيب» الفرد القومي في إطار «الإنسانية» والعالمية التي تدرّ على الرأسمالية الأرباح وتعطيها حرية الحركة والاستثمار والبيع والشراء بين الدول بلا أي قيود تذكر.

## منبر حر: الماركسية والمسألة القومية\*

د. توفيق شومر



الماركسية، من منظوري، ليست ديناً جامداً له قواعده، وليست كلياتية صارمة، وإنما هي منهجية علمية تحتكم للواقع وتطوراته، وتتطور خلاله، ومن خلال هذا التداخل بين مدخلات الواقع ومركباته الفوقية تصل الماركسية إلى إجاباتها عن الأسئلة المختلفة التي تعترضها. ومن هنا فلا أجد أي غرابة في أن تختلف الإجابة، عن تساؤل ما، بين منظر ماركسي وآخر. فحتى عند نفس المنظر ونتيجة لاختلافات بسيطة في المدخلات يمكن الوصول؛ بقضيتين متشابهتين شكلاً، إلى إجابات مختلفة، وأحياناً متناقضة. تجلت هذه المعادلة حقيقة في الإجابة الكلاسيكية الماركسية عن المسألة القومية، إذ لم تُرغ هذه المسألة بعناية خاصة من قبل ماركس وانجلز، فلم يفرّد لها تحليل خاص وإنما تداخلت الإجابات هنا وهناك خلال معتدك سياسي أو تحليل طبقي. وإن كان لينين أعطى للمسألة اهتماماً أكبر، إلا أنه لم يناقش تداخلاتها بجوانبها الخلفية تحديداً.

أول المحاولات النظرية الماركسية التي حاولت أن تتناول المسألة القومية باستقلالية كان كتاب ستالين «المسألة القومية والاشتراكية الديمقراطية» والذي صدر عام ١٩١٣م، وللأسف، ونتيجة لسيطرة المدرسية السوفيتية، تحول هذا الكتاب إلى مرجعية أساسية للنظر في المسألة القومية، وأهملت مع الأيام كل المحاولات الجادة اللاحقة لتحليل المسألة، مما أدى إلى شكل من الأصولية الجامدة، والتي وصمت الكثير من التحليلات الماركسية المدرسية، ليس فقط مجموعة الإجابات عن المسألة القومية.

فإذا ما راعينا هذا العامل بدقة خلال دراستنا النقدية، وإذا حاولنا النظر خارج الأطر المدرسية، للبحث عما قدّم عن المسألة القومية، لوجدنا تباينات عدّة تنحصر بين الإفراط في الأهمية (الكوزمبوليتية) تحت شعار «يا عمّال العالم اتحدوا ليس للعامل وطن» وبين التمسك بالأطر القطرية الضيقة، وحتى لو كانت مصطنعة، تحت شعار «حدود الأمة هي حدود الدولة».

يعرّف ستالين الأمة بأنها «جماعة ثابتة من الناس تكونت تاريخياً، لها لغة مشتركة، وأرض مشتركة، وحياة اقتصادية مشتركة وتكوين مشترك، يجد له تعبيراً في الثقافة المشتركة». ويلحق هذا التعريف بقوله «إن غياب أي عنصر منها، يلغي وجود الأمة كأمة». قد نتفق موضوعياً وتاريخياً مع القول بوجود سمات عامة تميز الأمة انطلاقاً من وجودها الإثني والثقافي، وحتى وإن لم تكن دولة ما، ولكن من المرفوض، إذا ما اعتبرنا أن الماركسية تأخذ التطور التاريخي الاقتصادي بتدخلاته، القول بأن «غياب أي عنصر منها، يلغي وجود الأمة كأمة». لأن في ذلك جموداً ترفضه الماركسية ابتداءً.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

وباستعراض سريع لمواقف كل من انجلز وماركس ولينين نجد أنهم يعتبرون أن مفهوم الأمة، بشكله الصراعى، ظهر مع بداية ظهور وتشكل الأنظمة الرأسمالية. وتحول تدريجياً إلى مفهوم نظري له الكثير من المتحدثين به. مما أدى، ومع مجمل التطورات الاقتصادية لنشوء الدولة البرجوازية، إلى تحوله إلى خطة عمل وطنية أدت فيما أدت إلى تعديل الخارطة العالمية على أساس قومي، فتشكلت دول قومية، ومن أوضح الأمثلة التي تحولت بها مجموعة من الدويلات إلى دولة قومية بالاعتماد على التمايزات الثقافية والجغرافية والتاريخية هما: ألمانيا وإيطاليا.

عبر لينين عن تلك الحقبة بقوله: «إن الأمة منتج وشكل حتميان للعصر البرجوازي من تطور المجتمعات». ويساعد هذا التكوّن في تقوية الطبقة العاملة، لأنه عندما تسيطر البرجوازية وفهمها الخاص للأمة، تقوم بتحويل الاقتصاد إلى اقتصاد رأسمالي ناجز، مما يؤهل ويؤدي إلى تبلور وتماسك الطبقة العاملة في الأمم المتشكلة. ويكمل ليقول أنه بتطور العلاقات الاقتصادية في المجتمع البرجوازي، وتحديداً عند دخوله المرحلة الإمبريالية، يتم تجاوز الأطر الخاصة للأمة، مما يؤدي بالضرورة إلى تشكل وعي أممي ناجز بين صفوف الطبقة العاملة في تلك الدول. (وقد تكون الشركات متعددة/ومتعدية الجنسية، والوحدة الأوروبية، أسطع مثالين على ذلك).

إن المؤثرات الأساسية التي اعتمدت عليها حدود الأمة هي: اهتمام البرجوازيات بربط اقتصادها ضمن البقعة الجغرافية المناسبة والتي يتكلم معظم سكانها لغة مشتركة والتي يتحقق فيها نزوع توحيدي من نوع ما. وتجدر الملاحظة أنه ليس هناك أي تحديات تحكم تشكل الأمة، ومثالاً لذلك نأخذ الأمة البريطانية والتي تتشكل من مجموعات إثنية مختلفة تم توحيدها ضمن أمة واحدة انطلاقاً من تقارب لغوي ومن انضواء داخل منطقة جغرافية محددة ومحكومة بطبيعة كونها جزيرة. وعلى الرغم من ذلك بقيت أطراف إثنية، ترفض هذا التوحد كنتيجة لموقعها الاقتصادي ضمن تركيبة الوحدة، فايرلندا، مثلاً، ما زالت تناضل إلى وقتنا هذا مطالبة باستقلالها التام عن الدولة البريطانية، وأهالي ويلز يطالبون بتحسين واقعهم الاقتصادي ويعتبرون أن أصلهم الإثني هو الذي يدفع الإنجليز (وهم الإثنية المسيطرة) إلى تنحيتهم وإبعادهم عن الوصول إلى مواقع متطورة بشكل مواز للإثنية الإنجليزية، بينما في اسكتلندا هناك حركة انفصالية قوية تسعى للانفصال عن بريطانيا.

يختلف الوضع عن حالات أخرى، فرنسا؛ مثلاً، والتي أنجزت وحدتها في مرحلة مبكرة من تطور الدولة الرأسمالية وأعانها في ذلك نزعتها إلى السيطرة الخارجية، والتي ترافقت مع تأسيسها كدولة رأسمالية. وأما عن ألمانيا فقد لعب توحيدها القومي دوراً بارزاً في نهوضها وتنامي قوتها ودورها، بحيث تمكنت لاحقاً من الانقضاض على المجموعات الإثنية المجاورة.

أرى من الضرورة التعرّيج على المواقف التي اتخذت من قبل الكلاسيكية الماركسية حول مجمل التطورات القومية في أوروبا. لقد انطلق لينين في تحديد الموقف من أي حركة قومية، بالاعتماد على مقدار تقدمية هذه الحركة، ومقياس التقدمية هنا هو مقدار ما تتمكن هذه الحركة من دعم وتوطيد الوعي البروليتاري أو الوجود البروليتاري. ويقول لينين «إن مبدأ القوميات أمر محتّم تاريخياً في المجتمع البرجوازي، وبالنظر إلى هذا المجتمع، يعترف الماركسي صريح الاعتراف بالشرعية التاريخية للحركات القومية. ولكن ولكي لا يتحول هذا الاعتراف إلى تمجيد للتعصب القومي، ينبغي له أن يقتصر بدقة على ما لهذه الحركات من أفق تقدمي، ولا يؤدي إلى تعمية الوعي البروليتاري بالعقلية البرجوازية».

انطلاقاً من فهم مماثل، اتخذ كل من ماركس وانجلز مواقفهم باتجاه الوحدة الألمانية، والنزعة الاستقلالية للسلافيين. فقد أيد ماركس الوحدة الألمانية لقناعته بأن هذه الوحدة ستكون سبباً رئيسياً في تطور ألمانيا الاقتصادي، وفي تشكل آلة الدولة والمؤسسات فيها، مما يساعد بالضرورة على تزايد عدد الطبقة العاملة، ويؤدي إلى وعي بروليتاري. أما في حالة النزعة الاستقلالية للسلافيين قبل عام ١٨٧٨م، فقد اعتبر كل من ماركس وانجلز أن لها طابعاً رجعيّاً انطلاقاً من أن هذا الطرح يؤدي، في تلك الفترة تحديداً (قبل ١٨٧٨م) إلى تشكل حلف روسي - فرنسي يكون له دورٌ في تقوية النظام الإقطاعي المتخلف في روسيا القيصرية.

١ ماركس، انجلز، البيان الشيوعي، دار التقدم، موسكو، ص ١.

٢ أريك كام وآخرون، الاشتراكية والقومية، ترجمة بديع نظمي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٣، ص ١٤٠.

٣ جورج طرابيشي، الماركسية والمسألة القومية، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٥٦.

٤ كام، مرجع سابق، ص ٣٧.

٥ ماركس، انجلز، لينين، الشيوعية العلمية، ترجمة د. فؤاد أيوب، دار دمشق، دمشق، ١٩٧٢، ص ٤٠٣.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

لقد اتخذ الكوزموبوليتيون، الموقف المعادي الذي تبناه ماركس وانجلز للنزعة الاستقلالية السلافية ذريعة ومبرراً للتشدد في مواقفهم، متناسين الظروف التاريخية التي توافقت مع موقف ماركس وانجلز هذا، ومتناسين أيضاً المواقف اللاحقة من نفس القضية. فقد كتب انجلز وفي فترة لاحقة عام ١٨٨٨:

«بالنسبة لي، الشرط الأول لتحرير أمم أوروبا الوسطى والشرقية هو إسقاط القيصرية والقضاء معها على الكابوس الذي يخيم على أوروبا بكاملها. وعلى أثر إسقاط القيصرية، سوف نشهد انهيار هذه الدولة الميتة والتي يمثلها بسمارك، حيث ستحرم انذاك من سندها الرئيسي، وسوف تتفكك النمسا نظراً لأنها ستفقد المبرر الوحيد لوجودها، ألا وهو الحيلولة، بمجرد وجودها، دون ضم القيصرية للأمم المتفرقة في جبال الكراباتيانز والبلقان، وستستعيد بولندا كيانها وستكون روسيا الصغرى (أوكرانيا) حرة في اختيار ارتباطاتها السياسية، وسيصبح الرومانيون والمجر والسلاف الجنوبيين أحراراً من كل تدخل أجنبي، وقادرين بالتالي على تسوية شؤونهم ومشاكلهم الحدودية فيما بينهم». وهذا الاقتباس الطويل يبين أن انجلز وماركس لم يعاديا فكرة استقلال الأمة السلافية وإنما اعتبروا أن التوقيت الذي اختاره السلاف يمكن أن يشكل أزمة تؤخر من تطور وتبلور الطبقة العاملة والمجتمع الإنساني انذاك.

وانطلاقاً من جملة المواقف التي اتخذها كل من ماركس وانجلز يمكن اعتبار أن السمات العامة لموقفهما من مسألة الأمة والقومية هي:

- ١) إن التحرر القومي للأمة المظلومة هو وحده الذي يتيح التغلب على الانقسامات والعداوات القومية، ويسمح للطبقة العاملة في الامتين معاً [الظالمة والمظلومة] بالاتحاد ضد عدوهما المشترك، الرأسماليين.
- ٢) إن اضطهاد أمة أخرى يساعد على تعزيز الهيمنة الفكرية للبورجوازية على العمال في الأمة الظالمة، «إن أي أمة تضطهد أمة أخرى إنما تخلق القيود لتكبيها هي».
- ٣) إن تحرر الأمة المظلومة يضعف القواعد الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والعقائدية للطبقات المسيطرة في الأمة الظالمة وبذلك يسهم في الكفاح الثوري للطبقة العاملة في تلك الأمة».

ويتطابق هذا الموقف مع موقف البلاشفة في الثورة الروسية في برنامج الديمقراطية العمالية من المسألة القومية والذي يؤكد على أنه «ليس ثمة سوي حل واحد للمسألة القومية، وهذا الحل إنما هو النزعة الديمقراطية المنسجمة إلى النهاية»، والقائمة على القول بأن:

- ١) لا امتيازات لأمة واحدة ولا للغة واحدة.
- ٢) ضرورة حل قضية تقرير مصير الأمم السياسي، أي حل قضية انفصالها، بطريقة حرة ديمقراطية تماماً.
- ٣) سن تشريع عام للدولة يقضي بإبطال كل تدبير يمنح أي امتيازات لأية قومية من قوميات».

بهذا الموقف الثوري توجهت الدولة السوفيتية الناشئة إلى الشعوب والقوميات التي انضوت تحت لواء الدولة القيصرية، لكن سنالين لم يحافظ على نقاء هذا الموقف على المستوى العملي، وعلى الأخص عندما قمع التوجه الجورجي للاستقلال.

في المقابل، وعودة إلى الموقف الثوري، فإن لينين يؤكد أن الشعور القومي في الأمم المستعمرة، بشكل مباشر أو غير مباشر، يشكل وازعاً في معاداة السيطرة الاستعمارية، ونحو التحرر بكافة أشكاله، وبالتالي فإن الموقف منها يجب أن يكون داعماً لها إن لم يكن متبنياً للتوجه القومي فيها في مواجهة الاستعمار. وفي هذا الصدد يقول لينين «إن الرأسمالية بإيقاظها القارة الآسيوية، قد أثارت في جميع بقاع آسيا حركات قومية تسعى حثيثاً إلى نشوء دول قومية، وإن هذه الدول بالضبط تضمن للرأسمالية (في تلك الدول الناشئة) أحسن الظروف التي يتطلبها تطورها». وبالتالي تبلور الطبقة العاملة فيها ودعم مسيرة الثورة العالمية من خلال تحطيم أحد مفاصل قوة النظام الرأسمالي الاستعماري. وبهذا الفهم فإن لينين يدرك ويؤكد على أهمية التوحيد الأممي للطبقة العاملة بغض النظر عن إطارها القومي، فيقول إن على البروليتاريا أن «تعترف بالمساواة في الحقوق، وتقرّ لجميع الأمم حقاً متساوياً في إنشاء دولة قومية، ولكنها تضع مصلحة التحالف بين البروليتاريين في جميع الأمم فوق كل اعتبار، وتنتظر إلى كل مطلب قومي، وإلى كل انفصال قومي، على ضوء نضال العمال الطبقي»، ومصالح هذا النضال.

٦ لينين، «ملاحظات انتقادية على المسألة القومية»، المختارات، ٥م، دار التقدم، موسكو، ص ٧٦.

٧كام، مرجع سابق، ص ٣٢.

٨ المرجع نفسه، ص ٢٣ يعتمد المؤلف على:

Michael Lowy, «Marxists and National Question» In New Left Review, 96, p. 83

٩ لينين، «ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية»، مرجع سابق، ص ٦٠.

١٠ لينين، «حق الأمم في تقرير مصيرها، المختارات، دار التقدم، ٥م، ص ١٥١.



العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

في الخاتمة، فإن المجموعات القومية، حسب ماركس، هي جماعة إقليمية ولغوية بدون مشروع تاريخي خاص بها، وهي لذلك مجموعة إثنية ليس أكثر، وتصبح هذه المجموعة الإثنية أمة عندما تتبنى مشروعاً تاريخياً خاصاً بها، وتتجاوز بهذا المشروع تخلفها الاقتصادي وتسعى لوحدها في إطار الدولة. ومن الممكن للأمة أحياناً أن تتجاوز إطار المجموعة الإثنية.

والخص تعريف القومية، من وجهة نظري، بأنها مجموعة من الممارسات الثقافية التي تحكمها ظروف موضوعية وتاريخية معقدة ومتداخلة، تؤدي إلى اختلاف مكوناتها كفكرة وممارسة واقعية تبعاً للظروف الموضوعية المتولدة عنها، ويؤدي ذلك في النهاية إلى اختلاف وتباين في ظروف تشكل الأمة ووعيها القومي للأمم المختلفة. ويسود الشعور القومي في مراحل الأزمات الاقتصادية أو في حالات السيطرة الخارجية على مجموعة إثنية ما، ويترافق، أيضاً، مع بداية نشوء البرجوازية نزعاً قومية. أما في المرحلة العليا للدولة البرجوازية، فإن الشعور القومي يتضاءل، وتظهر النزعة الأممية، حتى لو كانت من قبل البرجوازية، مما يؤكد أن الشعور القومي هو منتج فوق للعلاقات الإنتاجية الرأسمالية في طور نهوضها، وينتهي هذا الشعور بانتهاء الحاجة الاقتصادية له.

\* (هذه مداخلة كنت قد كتبتها في عام ١٩٨٩ كجزء من بحث أطول عن الماركسية والمسألة القومية العربية)

## مراجعة فيلم:

### لندن سقطت London Has Fallen: عندما ينقذ العم سام عاصمة أوروبية من الطابور الخامس

إبراهيم حرشاي



جنى فيلم «لندن سقطت» حوالي ١٩٥ مليون دولار حتى يوم ٢٣ أيار/ مايو ٢٠١٦ بحسب معطيات منشورة على موقع box office mojo المتخصص بالأفلام الغربية، وأنت ٦٨ بالمئة من هذه العائدات من خارج الولايات المتحدة الأمريكية، مما يعكس الإقبال الدولي الكبير على هذا الفيلم الذي ظهر لأول مرة على شاشات السينما يوم ٣ آذار/ مارس ٢٠١٦. كما ينبغي الأخذ في الحسبان الأرباح التي قد يجنيها الفيلم لاحقاً عبر بيع حقوق بثه على قنوات تلفزيونية أو عبر توزيعه كأقراص دي في دي في الأسواق التجارية. ويرجع مثل هذا الإقبال الكبير على الفيلم إلى علاقة حيكته بالعمليات الإرهابية التي وقعت في باريس وبروكسل في الأونة الأخيرة، ومحاكاة رغبة المتفرج الغربي في إعادة إنتاج هذه الأحداث من منظور درامي - ترفيهي.

يُعتبر الفيلم «لندن سقطت» «تتمة لفيلم «أوليمبوس سقطت» الذي تمكن فيه عميل الاستخبارات الأمريكية، وهو الممثل الاسكتلندي جيرارد بوتلر، من إنقاذ حياة الرئيس الأمريكي عندما تعرض البيت الأبيض لهجوم من قبل إرهابيين من كوريا الشمالية. ويلعب بوتلر هذا نفس دور البطل الخارق للعادة تحت اسم «مايك بينين» في فيلم «لندن سقطت» بصفته المرافق الأمني الخاص للرئيس الأمريكي بنجامين أشر (الممثل آرون إيكهارت) أثناء حضوره حفل تأبين رئيس وزراء بريطانيا الذي وافته المنية بشكل مفاجئ.

يتمحور الفيلم حول ردة فعل شخصية إرهابية تحمل اسم «أمير برقاي» (الممثل «الإسرائيلي» الون موني أوبوبول) - الذي تحركه الرغبة بالثأر لمقتل ابنته وأفراد عائلته أثناء حفل زفافها إثر قصف جوي أمريكي. ومن الملحوظ هنا أنه تم اختيار مفهوم «الثأر» بدقة لعدم إعطاء أي مبرر مقبول عند المتلقي لاستعمال العنف العسكري كالمقاومة التي تُشرعها المادة ٥١ لميثاق الأمم المتحدة. ومع وصول وفود الدول العظمى إلى العاصمة البريطانية، تبدأ خطة ملاحقة واغتيال قادة هذه الدول عبر أعمال إرهابية تورط فيها عناصر من رجال الأمن البريطاني، معظمهم من أصول أجنبية. وعلى غرار الجزء الأول من الفيلم (أوليمبوس سقطت)، تبدأ العمليات بشكل مُنسق باستهداف مواكب وفود الزعماء الدوليين والمعالم الشهيرة والشاهقة للعاصمة البريطانية، ومن بينها برج «بيغ بن» الشهير، الذي لم يفلح مخرج «لندن سقطت»، الإيراني بابك النجفي، في الجانب التقني المتعلق بتصوير المشاهد التفجيرية كونها أنتجت بتقنية سي جي إي غير الملائمة لصنع مثل تلك المشاهد بواقعية عالية.

تطورت مجريات أحداث الفيلم مع نجاة الرئيس الأمريكي من الموت، عكس نظرائه من إيطاليا وفرنسا واليابان، وهنا تبدأ ملاحقة الرجل الأول في الولايات المتحدة الأمريكية في شوارع لندن عبر أحد أبرز رجال أمير البرقاي «كمران» (الممثل الفلسطيني وليد زعيتر) ومقاتليه.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

بطبيعة الحال، لا يخلو «لندن سقطت» من الرسائل السياسية الموجهة إلى المشاهد الغربي بصفة عامة والمشاهد الأوروبي بصفة خاصة. فالفيلم من صنف دعائي يهدف لشيطنة خصوم الولايات المتحدة الأمريكية سواء كانوا محليين أم دوليين. ويمكن في هذا الصدد تصنيف السينما الحربية الأمريكية إلى أنواع مختلفة أبرزها: الأفلام المتعلقة بمواجهة الهنود الحمر وإبادتهم، والأفلام العنصرية التي تستهدف الأفرو-أمريكيين (الأمريكيون من أصول أفريقية)، وأفلام الحرب الباردة، والأفلام المناهضة «للإرهاب العربي - المسلم». والقاسم المشترك الذي يجمع بين كل هذه الأصناف، هو أن مصدر الشر فيها يتمثل دائماً في الآخر، في جانبه الثقافي والأخلاقي، بينما يتميز الجانب الأمريكي بقيم إنسانية سامية لا مثيل لها.

يحمل الفيلم في جعبته رسالتين أساسيتين، الأولى مفادها أن العم سام هو صمام الأمان للقارة الأوروبية في محاربة الإرهاب، على غرار دوره «الحاسم» في الحرب العالمية الأولى والثانية في مقارعة التوسع الألماني وصعود النازية. وهذا إن دل على شيء فهو يدل على رغبة المخيال الجمعي الأمريكي في قيادة حلف شمال الأطلسي على مدى طويل كونه يزعم امتلاك التفوق العسكري والتقني والأخلاقي لحماية أوروبا والعالم من الأخطار الآتية من آسيا وإفريقيا.

أما الرسالة الثانية فتتعلق بالخطر الذي تشكله الجاليات العربية والمسلمة المقيمة في أهم العواصم الأوروبية مثل لندن وباريس وبروكسل. فالفيلم يصور المسلم-الأوروبي المندمج في المجتمع اللندني كاليد الطولى لـ«الإرهاب الدولي». فالإرهابي في الفيلم ليس ذلك المسلم المعمم المرتدي لجلباب ووجه ممتلئ بلحية تصل إلى صدره، بل ذلك الشاب المسلم الذي له مظاهر غربية ويشغل في مؤسسات رسمية مثل مؤسسة الشرطة أو شركة المواصلات العمومية. وقد دق في هذا الصدد أكثر من حزب يميني ناقوس الخطر محاولاً لفت الانتباه إلى التغير الديموغرافي والثقافي الذي تشهده أكثر من عاصمة أوروبية والإشكاليات الأمنية التي قد تنتج عن ذلك. وينبغي في هذا الخصوص الإشارة إلى العاصمة الأوروبية بروكسل، حيث أظهرت دراسة أعدتها جامعة بروكسل سنة ٢٠١٣ أن اللغة العربية أصبحت تحتل المركز الرابع من مجموع ١٠٤ لغة مستعملة في العاصمة الأوروبية، ويعني هذا بالتحديد أن حوالي ٢٠ بالمائة من سكان بروكسل يتحدثون باللغة العربية. وقد نجح الإعلام الأوروبي الأصفر، خصوصاً بعد هجمات باريس و بروكسل، في إقناع المواطن الأوروبي العادي - المشحون أصلاً بصورة نمطية إزاء العرب والمسلمين - بمعادلة تساوي بين المسلمين في أوروبا والإرهاب.

أخيراً وليس آخراً، تجب الإشارة إلى المخرج بابك النجفي الذي سطع نجمه في سماء هوليوود لأول مرة عبر هذا الفيلم الفاقد لأي جودة درامية أو تقنية. فالمخرج الذي أصدر عدة أفلام قصيرة في السويد، لم يستح من التعامل مع منتج الأفلام «الإسرائيلي» أفي ليفنير، وهو جندي سابق في صفوف جيش الاحتلال الصهيوني. كما لم يستح أن يتعامل مع كاتب السيناريو الصهيوني كريتون روتنبيرجر. وينطبق هذا الأمر كذلك على الممثل الفلسطيني وليد زعيتير، الذي يُعتبر دوره في الفيلم عملاً تطبيعياً صارخاً. ويثبت كل هذا بأن أي مخرج أو ممثل بخلفية عربية-إسلامية لا يمكنه أن ينجح في السينما الأمريكية بهذه السرعة الفائقة إلا عبر بوابة الصهيونية والأمركة والخنوع والتزلف لخطابها المناهض للعرب والمسلمين.

## الصفحة الثقافية:

### إضاءات على الفن التشكيلي والنحتي في العراق، جواد سليم وفائق حسن نموذجاً ٢-١

#### معاوية موسى



الحركة الثقافية في كل المجتمعات، تعتبر واحدة من قمم البناء الفوقي لحركة تطور تلك المجتمعات، حيث تعكس المستوى الحضاري والتقدم الذي يحرزه مجتمع ما خلال مسيرته التاريخية. وقد مرت الثقافة العراقية بمراحل مختلفة من التقدم والتراجع خلال عقود القرن الماضي، منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة وحتى اليوم بعد مرور سنوات على انتهاء العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. فمن مفارقات الأقدار أن لوحة تمثل فتاة تجلس إلى جانب إناء زهور، رسمها الفنان جواد سليم سنة ١٩٥٠، بيعت في أحد المزادات، سنة ٢٠١١، بأكثر من ٣٦٢ ألف دولار، في حين أن صديق عمره الفنان محمد غني استرد له منحوتة، نُهبت من متحف بغداد بعد الغزو الأمريكي سنة ٢٠٠٣، مقابل مئة دولار! كما تشير مذكرات الفنان الراحل التي نشرتها جريدة القدس العربي في عددها الصادر في ٢٠١٤/٧/١٩.

لقد كان الفن في وادي الرافدين دائماً، كما أشرنا في معرض الحديث عن السينما في العراق في العدد السابق من مجلة طالقة تنوير، كشعب هذا الوادي، كلاهما نتاج الأرض والمناخ، كلاهما لم يدرك قط الانحطاط ولم يبلغ قط الكمال، فكمال الصنعة بالنسبة إليه يحد من التعبير الذاتي. لقد كان عمل الفنانين العراقيين القدامى خشناً، كما يشير الفنان الكبير جواد سليم، ولكنه غني بالابتكار وفيه حيوية وجرأة لا تتيسران للتقنية المرفهة، وكان الفنان دائماً حراً في التعبير عن نفسه، حتى في خضم فن الدولة في آشور، حيث يتكلم الفنان الحقيقي من خلال دراما الحيوان الجريح.

جواد سليم وفائق حسن فنانونا تعرفنا إليهما في دروس التربية الفنية في المرحلة الإعدادية، فهما فامتان فنيان عاليتان تخطت شهرتهما حدود بوابة الشرق العربي وبلاد ما بين النهرين، وقد يعجب المرء في زماننا كيف استطاع رموز الفن التشكيلي وأيقونته في العراق فائق حسن وجواد سليم، وهو الفن الأصعب للعامة، أن يمتد حضورهما حتى في مناهج التعليم في مراحلها المبكرة، لكن هذا الحضور لم يكن من قبيل الحشو أو الحالة المثالية، بقدر ما استطاعا تجذير نفسيهما في تراث هو تراثهما، للتعبير عن حالة تضي على عملهما صفة التميز، مما يبرزهما بين الآخرين كمبدعي ومطوري حضارة قومية.

فجواد وفائق كما يشير الفنان والناقد جبرا إبراهيم جبرا يتمتع كلٌ منهما باطلاع واسع على تاريخ الفنون لدى الأمم الأخرى، لكنهما حاولا منذ البداية إيجاد رؤية فنية يتسنى لهما أن يسميها عراقية، أو عربية، وهذا هو السبب في رجوعهما إلى النحت السومري والآشوري، إلى التصوير العربي، إلى منمنمات وخطوط المخطوطات القديمة، إلى النيمات الشعبية والمحلية، لكن من ناحية أخرى نجد أنهما شديداً الاهتمام بالبعد العربي وليس المحلي فحسب، وهما يعتبران عملهما، أساساً، جزءاً من كفاح الأمة العربية، والكثير من رموزهما تستوحي النضال الذي يقوم به الثوريون في فلسطين وبقية أقطار الوطن العربي.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

يقول الفنان والناقد خضر عواد الخزاعي واصفاً الفنان جواد سليم في أحد أهم الأعمال الخالدة والتاريخية له، منجزه الخالد نصب الحرية يعتبر حلقة الارتباط الوحيدة بين عشرين عراقيين، الفاصلة الزمنية بينهما تمتد لأكثر من سبعة آلاف عام، وهذا الإنجاز ما كان ليتحقق لولا العقلية الجبارة والديناميكية التي امتلكها الفنان جواد سليم في نظراته الاستشرافية لما هو أبعد مما كان سيمنحه الحاضر العراقي له آنذاك، حيث عرف عن جواد سليم دأبه المبكر لتأسيس فن عراقي خالص، أدواته التراث وحضارة بلاد الرافدين، وما وفره هذا التراث وتلك الحضارة من رموز محلية أغنت المعارف الإنسانية بما أنتجته من فنون وآداب وعلوم وفلسفات. إذن نستطيع القول أن أعمال جواد سليم، في النحت والرسم، هي امتداد لهذا التراث الخصب وتفاعل مجموعة العوامل المكونة للبيئة العراقية، تراثات الفنون العراقية القديمة، السومرية تحديداً، ورموز القمر والهلال، وعناصر الحكاية الشعبية... الخ احتلت موقعاً تكوينياً في مزاجه ورؤيته. وليست مبالغة أن يقال أن جوهر البحث التشكيلي عند سليم كان استخلاص أسلوبية فنية وطنية، عراقية أساساً، في الشكل والمحتوى والتركييب، وعلى نحو لصيق بوشائج التراث النحتي لبلاد ما بين النهرين، الذي تميز بدلالاته التعبيرية وحيويته التشكيلية عن غيره من فنون العالم القديم.

نصب الحرية أحد أهم منجزات الفنان الراحل، والقابع في ساحة التحرير إحدى أشهر الساحات والأماكن العامة في العاصمة بغداد، هو عبارة عن سجل مُصور صاغه الفنان جواد سليم عن طريق الرموز، أراد من خلالها سرد أحداث رافقت تاريخ العراق القديم والحديث، حيث تخللت النصب الفنون والنقوش البابلية والآشورية والسومرية القديمة، إضافة إلى رواية أحداث ثورة تموز ١٩٥٨، وكثير من الموضوعات التي تخص تاريخ العراق وأثاره وأحداثه.

اليوم ثمة ملحمتان مهمتان في تاريخ العراق، أو لهما ملحمة كلكامش والأخرى ملحمة الحرية لجواد سليم، وفي كتابه «جواد سليم ونصب الحرية» يعرض الناقد والباحث جبرا إبراهيم جبرا شروحات هامة ومفصلة لهذا النصب العملاق الذي يزين وسط بغداد، ويعتبره العراقيون رمزاً مهماً لتراثهم الوطني، حتى اعتمده المصرف العراقي المركزي في حقبة الرئيس الراحل صدام حسين كأحد أهم المعالم التي وضعت على الأوراق النقدية.

الفنان فائق حسن، والذي تستطيع أن تلاحظ وتشعر ملياً أو تجد متعة خاصة لحظة التأمل في أعماله، شأنه شأن صديقه ومواطنه جواد سليم، يبحث هو الآخر عن أسلوب عراقي متميز، راح ينشده منذ بداياته من خلال تأكيده على الجوهر الشعبي لمواضيعه، فالحاصدون وبائعات اللبن لديه، مهما عالجهم تكعيبياً، (اتجاه فني ظهر في فرنسا في بدايات القرن العشرين على يد بيكاسو يتخذ من الأشكال الهندسية أساساً لبناء العمل الفني) يجهدون ويعرقون تحت شمس رافدينية، لا ينتمون إلا إلى مياه دجلة والفرات.

ولقد تميز فائق عن جواد بغزارة إنتاجه، وذوبانه في المفردات العراقية والحالة الشعبية لا سيما الريفية منها، وكل من درس تاريخ وجذور الفن العراقي كواحدة من أهم المساقات التعليمية في الجامعات العراقية يلمس هذا الوهج وتلك الحرارة في أعمال فائق حسن أو الشروحات على أعمال فائق حسن كتعبير أدق.

امتاز فائق وتميز برسم الخيل والفرسان، وهي حالة انتماء عربية خالصة، كونها تعبر عن أصالة وتراث عربيين خالصين، ورمز للشخصية العربية التي يسودها ضرب من التفاؤل الجامح المشع، ولقد امتلأت لوحاته بأزقة بغداد وجسورها وأحيائها القديمة، وأسواقها وشخصياتها الشعبية، فكانت تلك تجربة يومية لم يسجلها بمثل أمانته وقدرته أي فنان عراقي آخر.

## قصيدة العدد: المؤنسة

لقيس بن الملوح «مجنون ليلى»

إعداد أيمن عدنان الرمحي

وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا  
 بليلى فلهاني وما كنت لاهيا  
 بذات الغضى تزجي المطي النواجيا  
 بدا في سواد الليل فرداً يمانيا  
 بعليا تسامى ضوؤها فبدا ليا  
 وليت الغضى ماشى الركاب لياليا  
 وقد عشتُ دهرًا لا أعد اللياليا  
 لعل خيالاً منك يلقي خياليا  
 إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا  
 خليلاً إذا أنزفت دمعي بكى ليًا  
 ولا أنشد الأشعار إلا تداويا  
 يظنن كل الظن أن لا تلاقيا  
 وجدنا طوال الدهر للحب شافيا  
 ولا توبة حتى احتضنت السواريا  
 لتشبه ليلى ثم عرضناها ليًا  
 قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليًا  
 فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا  
 ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا  
 فما لنوى ترمي بليلى المراميا  
 وداري بأعلى حزموت اهتدى ليا  
 من الحظ في تصريح ليلى حباليا  
 بي النقض والإبرام حتى علانيا  
 فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا  
 أشد على رغم الأعادي تصافيا  
 العقيق وأبكيت العيون البواكيا  
 بخير وجلت غمرة عن فؤاديا  
 يروم سلواً وقلت: أنى لما بيا  
 وأنت التي إن شئت أنعمت باليا  
 يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا

تذكرت ليلى والسنين الخواليا  
 ويوم كظل الرمح قصرت ظله  
 بثمدن لاحت نار ليلى وصحبتي  
 فقال بصير القوم وألمحت كوكباً  
 فقلت له بل نار ليلى توقدت  
 فليت ركاب القوم لم تقطع الغضى  
 أعد الليالي ليلة بعد ليلة  
 وإني لأستغشي وما بي نعسة  
 فيا ليل كم من حاجة لي مهمة  
 خليلي ألا تكيأ لي ألتمس  
 فما أشرف الإيفاع إلا صباة  
 وقد يجمع الله الشتيتين بعدما  
 لحى الله أقواماً يقولون إننا  
 ولم ينسني ليلى افتقار ولا غنى  
 ولا نسوة صبغن كيداء جلعداً  
 خليلي لا والله لا أملك الذي  
 قضاها لغيري وابتلاني بحبها  
 وخبرتmani أن تيماء منزل  
 فهذي شهر الصيف عنقاد انقضت  
 فلو أن واش باليمامة داره  
 وماذا لهم لا أحسن الله حالهم  
 وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل  
 خليلي ليلى أكبر الحاج والمني  
 فلم أر مثلينا خليلي صباة  
 لعمرى لقد أبكيتني يا حمامة  
 إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل  
 يقول أناس عّل مجنون عامر  
 فأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي  
 وأنت التي ما من صديق ولا عدى

كفى لمطايانا بريحك هاديا  
أرى حاجتي تشري ولا تشتري ليا  
يكون كغافاً لا علي ولا ليا  
ولا الصبح إلا هيجا ذكرها ليا  
سهيل لأهل الشام إلا بدا ليا  
من الناس إلا بلّ دمعي ردائيا  
علي فلن تحموا علي القوافيا  
من الليل إلا بت للريح حانيا  
فهذا لها عندي فما عندها ليا  
بالشوق مني والغرام قضي ليا  
أحدث عنك النفس بالليل خاليا  
وإني لا ألفي لها الدهر راقيا  
أبيت سخين الدمع حران باكيا  
هواك فيا للناس قل عزائيا  
فقلت أجل وا رحمتا لشبابيا  
يزاد ليلي عمرها من حياتيا  
علي شجني وابكين مثل بكائيا  
فيا ليتني كنت الطبيب المداويا  
غرامي لها يزداد إلا تماديا  
بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا  
خليلي ما أرجو من العيش بعدما  
فيا رب سو الحب بيني وبينها  
فما طلع النجم الذي يهتدى به  
ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا  
ولا سُميت عندي لها من سمية  
فإن تمنعوا عني ليلى وتحموا بلادها  
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها  
فأشهد عند الله أنني أحبها  
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا  
وأخرج من بين البيوت لعلني  
هي السحر إلا أن للسحر رقيقة  
مُعذبتني لولاك ما كنت هائما  
مُعذبتني قد طال وجدي وشفني  
وقائلة وا رحمتا لشبابه  
وددت علي طيب الحياة لو أنهش  
ألا يا حمامات العراق أعنني  
يقولون ليلى بالعراق مريضة  
تمر الليالي والشهور ولا أرى  
أراني إذا صليت يمتت نحوها

وعظم الجوى أعبي الطبيب المداويا  
وشابهه أو كان منه مُدانيا  
فزني بعينيتها كما زنتها ليا  
فإني بليلى قد لقيت الدواهيا  
وإن كنت من ليلى علي اليأس طاويا  
لي النعش والأكفان واستغفرا ليا  
خليلين إلا يرجوان التلاقيا

وما بي إشراك ولكن حُبها  
أحب من الأسماء ما وافق اسمها  
فيا رب إذ صيرت ليلى هي المني  
وإلا فبغضها إلي وأهلها  
علي مثل ليلى يقتل المرء نفسه  
خليلي إن ضنوا بليلى فقربا  
خليلان لا نرجوا اللقاء ولا نرى

هذه القصيدة لقيس بن الملوح العامري، نسبةً إلى قبيلة بني عامر، التي يُقال أن ليلى منها أيضاً، بل قيل أنها كانت ابنة عمه. وأنه عندما وقع في حبها شبب فيها بشعره حتى اشتهر أمرهما، وكانت هي تحبه أيضاً فلما طلب يدها من أبيها رفضه خوفاً من العار، إذ كانت العرب ترى عاراً على الفتاة وأهلها إن هي تزوجت ممن اشتهر الحب بينهم، إذ يُظن أنه كان علي صلةً بها. وعلى الرغم من أن العفة كانت هي السمة الغالبة على هذا الحب، إلا أنه لم يحظ بمباركة الأهل الذين باعدوا بين المحبين، وزفت ليلى لغيره.

لم يكن قيس صاحب ليلى يسمى بـ «المجنون» قبل تلك الواقعة، ولكنه هام بحبها حتى أصابته لؤثة فلُقب بالمجنون، وهو ليس كسائر أقرانه من الشعراء العذريين، فقصه حبه معاناة لم تتوقف، إلى أن انتهت نهاية مأساوية بموت قيس بعد رحلة عذاب بفعل هذا الحب العائر. علماً أن مجنون ليلى عاش بفترة الحكم الأموي.

سُميت هذه القصيدة بـ «المؤنسة» لأن قيس بن الملوح كان يحفظها دون غيرها، ولم يكن يخلو بنفسه إلا ويردها وينشدها حيث يأنس بها في وحدته، حتى سُميت بـ «المؤنسة»، وهي تعد أطول قصائده، وأروع ما كتبه شاعر في تصويره لوجهه وما يكابده من لوعة وحنين.

العدد رقم (٢٥) صدر في ١ حزيران عام ٢٠١٦ للميلاد

## كاريكاتور العدد



انتهى العدد